الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

		صفحة
لهجاتنا العامية : عوامل نشأتها وتطورها ومظاهر قصورها	: للدكتور علي عبد الواحد وافي	٢
بيرم والفصحى	: بقلم محمود تيمور	٧
أين الشاعر الموهوب ؟	: للدكتور عبد الرحمن عثمان	٨
الزواج والطلاق .. على الطريقة الأوربية	: للدكتور محمد رشاد سالم	١٠
رسول الإسلام بين اليسار واليمين – ٢ –	بقلم فتحي عثمان	١٤
نعم .. اسرائيليات !!	: بقلم محمد جلال كشك	١٧
« نماذج بشرية » هل هو من تأليف الدكتور مندور ؟	: بقلم عبد المطلب صالح	٢٠
العقاد وموقفه في الدفاع عن الإسلام – ٣ –	: بقلم محمد عبد الله السمان	٢٣
غريب « قصيدة »	: للشاعر محمد عزالدين المناصرة	٢٥
عنصر التشبيه في المثاق	: بقلم جمال الدين كفافي	٢٦
حول الفسيل «مسرحية» – ٦ –	: بقلم علي أحمد باكثير	٢٨
الله « قصيدة »	: للشاعرة الدكتورة عاتكة الخزرجي	٣٢
تعقيبات	: بقلم عباس خضر	٣٨
حول الأدب في أسبوع	: بقلم عبده بدوي	٤١
بين اسحاق نيوتن وأبي البركات هبة الله بن ملكا	: بقلم أحمد سعيد الدمرداش	٤٤
الكتب نقد وتعريف : دول اسلامية في افريقية	: بقلم لحسين عبد الحي	٤٨
كتب جديدة	: تقديم أحمد الصادق عبد الصمد	٥٢
قراءات في المجلات العربية	: تقديم محمد العواني	٥٦
البريد الأدبي	. . . .	٥٨
« نزوة في روما » قصة تأليف البرتو مورافيا	: ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي	٦٠
مع فنان	: تقديم اميل جرجس	٦٤

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من خارج ج.ع.م.

الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد – القاهرة .

العدد ١١٠٧ – الخميس ٣٠ من ذي القعدة ١٣٨٤ هـ – ١ ابريل ١٩٦٥ م – السنة الثالثة والعشرون

لهجاتنا العامية..

عوامل نشأتها وتطورها ومظاهر قصورها

للدكتور على عبد الواحد وافى

تقتضى قوانين اللغات انه متى انتشرت اللغة فى مناطق واسعة من الارض ، وتكلم بها طوائف مختلفات من الناس ، استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى امدا طويلا ، بل لا تلبث، فى ميادين التخاطب العادى ، ان تتشعب الى لهجات ، وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات فى سبيل تطورها منهجا يختلف عن منهج غيرها ، متأثرة فى ذلك بما يكتنف الناطقين بها من ظروف طبيعية واجتماعية خاصة . وبذلك يتولد عن اللغة الأولى شعبة من لهجات المحادثة يختلف بعضها عن بعض فى بعض الوجوه ، ولكنها تظل مع ذلك متفقة فى وجوه اخرى كثيرة ، اذ يترك الأصل الاول فى كل منها آثارا تنطق بما بينها من صلات القرابة ولحمة النسب اللغوى .

ولهذا القانون خضعت اللغات الانسانية من مبدأ نشأتها الى الوقت الحاضر . فاللغة اللاتينية مثلا قد اخذت فى أواخر العصور القديمة وفى العصور الوسطى تتشعب الى عدد كبير من اللهجات ، واخذت كل لهجة من هذه اللهجات تسلك فى سبيل تطورها منهجا يختلف عن منهج غيرها ، حتى أصبح كل منها لغة متميزة مستقلة غير مفهومة الا لأهلها ولمن يتعلمها تعلما مقصودا . وقد بقيت اللاتينية مدة كبيرة لغة ادب وكتابة بين الشعوب الناطقة باللهجات المتفرعة منها (الفرنسية، الايطالية ، الأسبانية ، البرتغالية، لغة رومانيا ..) ، ولكنها تنحت عن هذه الوظيفة بعد ان اكتمل نمو هذه اللغات .

والعصر الحاضر نفسه يشهد كثيرا من آثار هذا القانون فى اللغات الأوروبية الحديثة . فلانتشار اللغة الاسبانية فى مناطق واسعة من الارض ، ولاختلاف الطوائف المتكلمة بها ، اخذت تفقد وحدتها ، فانشعب عنها فى أمريكا الجنوبية لهجات كثيرة يختلف بعضها عن بعض ويختلف كل منها عن الأسبانية الأصلية اختلافا غير يسير فى كلماتها واصواتها ، بل ان بعض هذه اللهجات اخذ يختلف عن الأسبانية الأصلية فى القواعد نفسها . وقد الف بعض العلماء كتبا فى قواعد بعض هذه اللهجات ، منها كتاب الأستاذ « لنز » فى قواعد لهجة شيلى . ومثل هذا حدث بين البرتغالية فى البرتغال والبرتغالية فى البرازيل ، فقد وصل الخلاف بينهما الى القواعد نفسها بل الى شكل الرسم كذلك . وهذا هو ما يحدث الآن للانجليزية ،

والألمانية . فقد أخذت انجليزية الولايات المتحدة بأمريكا تختلف عن انجليزية الجزر البريطانية في كثير من المفردات وأساليب النطق ، وأخذت ألمانية سويسرا تبتعد عن أصلها ويزداد تأثرها بجارتها الفرنسية ، حتى لتوشك أن تكون لهجة متميزة عن ألمانية الألمان .

ولم تفلت اللغة العربية — **وما كان يمكن أن تفلت** — من هذا المصير . فمنذ أن اتسع انتشارها ، أخذت تتشعب في شئون التخاطب والحديث العادى الى لهجات يختلف بعضها عن بعض وتختلف عن الأصل الأول الذى انشعبت عنه في كثير من مظاهر الصوت والقواعد والدلالة والمفردات ، وسلكت كل لهجة منها في تطورها منهجا يختلف عن منهج غيرها تحت تأثير ظروفها الخاصة .

ويرجع السبب في انشعاب هذه اللهجات عن العربية الفصحى وفي تطورها المطرد في نواحي الأصوات والقواعد والدلالة والمفردات الى عوامل كثيرة من أهمها ما يلى :

١ — انتشار اللغة العربية في مناطق لم تكن عربية اللسان . فقد تغلبت اللغة العربية على اللهجات الآرامية في معظم بلاد العراق والشام وعلى الألسنة القبطية والبربرية والكوشيتية في مصر وشمال افريقيا وشرقها . ومن المقرر أن اللغة الغالبة ينالها كثير من التحريف في ألسنة المحدثين من الناطقين بها (المغلوبين لغويا) تحت تأثير لهجاتهم القديمة وأصواتها ومفرداتها ، وما درجوا عليه من عادات في النطق ... وهلم جرا .

وقد كان لهذا العامل أثر واضح في اختلاف لهجات هذه المناطق الجديدة بعضها عن بعض واختلافها عن اللسان العربي الأول . فقد تأثرت اللغةالعربية في كل منطقة من هذه المناطق بلهجاتها القديمة وانحرفت في ألسنة أهلها انحرافا خاصا اقتضته عاداتهم الصوتية المتأصلة ومناهج ألسنتهم الأولى ، وتأثرت ألسنة الجاليات العربية نفسها في كل منطقة من هذه المناطق بألسنة أهلها ؛ فنشأ من جراء ذلك في كل بلد من هذه البلاد لهجة تخاطب عربية تختلف عن لهجة غيرها وتختلف عن اللغة العربية الأولى . فالعربية في الشام مثلا متأثرة بالألسنة الآرامية القديمة ، وفي المغرب باللهجات البربرية التى صرعتها العربية في هذه البلاد ... وهلم جرا .

٢ — عوامل اجتماعية سياسية ، كاستقلال البلاد العربية بعضها عن بعض ، وضعف السلطان المركزى الذى كان يجمعها ويوثق ما بينها من علاقات . فمن الواضح أن انفصام الوحدة السياسية يؤدى الى انفصام في الوحدة الفكرية واللغوية .

٣ — عوامل اجتماعية نفسية ، تتمثل فيما بين سكان هذه المناطق من فروق في النظم الاجتماعية والعرف والتقاليد والعادات ومبلغ الثقافة ومناحى التفكير والوجدان وما الى ذلك . فمن الواضح أن الاختلاف في هذه الأمور يتردد صداه في أداة التخاطب .

٤ — عوامل جغرافية تتمثل فيما بين سكان هذه المناطق من فروق في الجو وطبيعة البلاد وبيئتها وشكلها وموقعها ... وما الى ذلك ، وفيما يفصل كل منطقة منها عن غيرها من جبال وأنهار وبحرات ... وهلم جرا . فلا يخفى أن هذه الفروق والفواصل الطبيعية تؤدى — عاجلا أو آجلا — الى فروق وفواصل في اللغات .

٥ — اختلاف أعضاء النطق باختلاف الشعوب . فمن المقرر أن هذه الأعضاء تختلف في بنيتها واستعدادها ومنهج تطورها تبعا لاختلاف الشعوب وتنوع الخواص الطبيعية المزود بها كل شعب والتى تنتقل بطريق الوراثة من السلف الى الخلف . فلم يكن مناص اذن أن تختلف أصوات اللهجات العربية بعضها عن بعض باختلاف الشعوب التى انتشرت فيها ، وأن تتجه كل لهجة منها في تطورها من هذه الناحية الى منهج يختلف عن منهج غيرها .

٦ — التطور الطبيعى المطرد لأعضاء النطق واختلافها باختلاف الأجيال . فمن المقرر أن

اعضاء النطق فى الانسان فى تطور طبيعى مطرد فى بنيتها واستعدادها ومنهج ادائها لوظائفها وانها تختلف من جيل لجيل،فحناجرنا وحبالنا الصوتية والسنتنا وحلوقنا وسائر اعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأولين ، ان لم تكن فى بنيتها الطبيعية ، فعلى الأقل فى استعداداتها ، بل انها لتختلف فى ذلك عما كانت عليه عند آبائنا الأقربين .

وغنى عن البيان ان كل تطور يحدث فى اعضاء النطق أو استعدادها يتبعه تطور فى اصوات الكلمات ، فتنحرف هذه الأصوات عن الصورة التى كانت عليها الى صورة اخرى اكثر منها اتساقا مع الحالة التى انتهت اليها اعضاء النطق. فكان من المستحيل اذن أن تجمد الفاظ اللغة العربية فى لهجات المحادثة على حالتها الأولى فى الأمم الناطقة بها ، ولم يكن مفر من ان ينالها كثير من التطور باختلاف العصور . ومن آثار هذا التطور ما حدث فى اللغة العربية بصدد اصوات الجيم والثاء والذال والظاء والقاف . فقد اصبحت هذه الأصوات ثقيلة على اللسان فى كثير من البلاد العربية ، واصبح لفظها على الوجه الصحيح يتطلب تلقينا خاصا ومجهودا اراديا وقيادة مقصودة لحركات المخارج.ولعدم اتساقها مع الحالة التى انتهت اليها اعضاء النطق فى هذه البلاد اخذت تتحرك منذ امد بعيد الى أصوات اخرى قريبة منها .

٧ ــ موقع الصوت فى الكلمة : وموقع الصوت فى الكلمة يعرضه كذلك لكثير من صنوف التطور والانحراف . واكثر ما يكون ذلك فى الأصوات الواقعة فى اواخر الكلمات سواء اكانت هذه الأصوات اصوات مد أم اصواتا ساكنة .

اما اصوات المد فقد لوحظ أن وقوعها فى آخر الكلمة يجعلها فى الغالب عرضة للسقوط . وقد كان لهذا العامل اثر كبير فى سقوط اصوات المد القصيرة المسماة بالحركات (التى يرمز اليها فى الرسم العربى بالفتحة والكسرة والضمة) التى تلحق اواخر الكلمات العربية. ففى جميع اللهجات العامية المتشعبة عن العربية قد انقرضت هذه الأصوات جميعا ، سواء فى ذلك ما كان منها علامة اعراب وما كان منها حركة بناء . ولعل هذا هو اكبر انقلاب حدث فى اللغة العربية ، فقد اتى جميع الكلمات فانتقصها من اطرافها ، وجردها من العلامات الدالة على وظائفها فى الجملة ، وقلب قواعدها القديمة رأسا على عقب .

ووقوع الصوت الساكن (ونعنى به ما يقابل صوت المد) فى آخر الكلمة يجعله كذلك عرضة للتحول أو للسقوط . فمن ذلك ما حدث فى اللغة العربية بصدد التنوين ونون الأفعال الخمسة والهمزة والهاء المتطرفتين . فقد انقرضت هذه الأصوات فى معظم اللهجات العامية المتشعبة عن العربية .

٨ ــ تناوب الأصوات المتحدة النوع القريبة المخرج وحلول بعضها محل بعض . يتبين من ملاحظة ظواهر التطور فى مختلف اللغات الانسانية ان الأصوات المتحدة النوع القريبة المخرج تميل بطبعها الى التناوب وحلول بعضها محل بعض . فكل صوت لين عرضة بطبعه لأن ينحرف الى صوت لين آخر ، وكل صوت ساكن عرضة بطبعه لأن ينحرف الى صوت ساكن متحد معه فى مخرجه او قريب منه . وقد كان لهذا القانون آثار ذات بال فى انشعاب اللهجات العامية عن العربية وفى تطورها من ناحية الأصوات وقواعد الصرف ووزن الكلمات . فقد حدث فى هذه اللهجات تناوب واسع النطاق بين اصوات المد القصيرة التى يرمز اليها فى الرسم العربى بالفتحة والكسرة والضمة . ويمثل هذا التناوب انقلابا من اهم الانقلابات التى اعتورت اللغة العربية . فقد كان من آثاره أن انحرفت أوزان الكلمات ، وانقلبت اشكالها رأسا على عقب ، حتى لا نكاد نجد فى اللهجات العامية كلمة واحدة باقية على وزنها العربى القديم . وكثير من الأصوات الساكنة المتحدة النوع او القريبة المخرج قد تناسخت كذلك فى اللهجات العامية وحل بعضها محل بعض . ففى كثير من المفردات العامية تحولت السين الى صاد والصاد الى سين والذال الى دال والضاد الى ظاء والعين الى نون واللام الى ميم والميم الى لام . . . وهلم جرا .

٩ ــ يتغير مدلول الكلمات تبعا للحالات التى يكثر فيها استخدامها . فكثرة استخدام العام

مثلا فى بلد ما أو فى عصر ما فى بعض ما يدل عليه تزيل مع تقادم العهد عموم معناه وتقصر مدلوله على الحالات التى شاع فيها استعماله . وكثرة استخدام الخاص فى معان عامة عن طريق التوسع تزيل مع تقادم العهد خصوص معناه وتكسبه العموم . وكثرة استخدام الكلمة فى معنى مجازى تؤدى غالبا الى انقراض معناها الحقيقى وحلول هذا المعنى المجازى محله . واستخدام الكلمة فى فن او صناعة بمعنى خاص يجردها فى هذا الفن او فى هذه الصناعة من معناها اللغوى ويقصرها على مدلولها الاصطلاحى . والتطورات التى حدثت فى اللهجات العامية تحت تأثير هذا العامل تناولت آلافا من المفردات العربية ، حتى انه ليندر ان نجد مفردا عاميا مطابقا فى مدلوله كل المطابقة للمفرد العربى الذى انحدر منه .

١٠ – يتغير مدلول الكلمة أحيانا تحت تأثير القواعد . فقد تذلل قواعد اللغة نفسها السبيل الى انحراف معنى الكلمة وتساعد على توجيهه وجهة خاصة . فتذكير كلمة « ولد » مثلا فى العربية (ولد صغير) قد جعل معناها يرتبط فى الذهن بالمذكر ؟ ولذلك اخذ مدلولها يدنو شيئا فشيئا من هذا النوع ، حتى اصبحت لا تطلق فى كثير من اللهجات العامية الا على الولد من نوع الذكور .

١١ – وقد تغيرت فى اللهجات العامية مدلولات كثير من الكلمات لأن الشىء نفسه الذى تدل عليه قد تغيرت طبيعته أو عناصره أو وظائفه أو الشئون الاجتماعية المتصلة به وما الى ذلك .

١٢ – انتقال كلمات جديدة الى بعض اللهجات من اللغات الاجنبية التى احتكت بها . فقد انتقل الى كل بلد عربى اللسان كثير من كلمات اللغات التى اتيح له الاتصال بأهلها اتصالا ثقافيا أو سياسيا او اقتصاديا .

١٣ – انتقال اصوات جديدة الى بعض اللهجات العامية من اللغات الاجنبية التى احتكت بها . فمن ذلك مثلا صوت بين الشين والجيم المعطشة ينطق به فى عامية العراق فى مثل كلمة « عربنجى » (سائق العربة) : فمن المحتمل أن يكون هذا الصوت قد انتقل اليها من التركية .

١٤ – دخول قواعد جديدة فى بعض اللهجات العامية للحاجة اليها فى الكلام او عن طريق احتكاكها باللغات الاخرى . فقد انتقل مثلا الى المصرية والعراقية طريقة النسب التركية (بزيادة جيم وياء) فى بعض الكلمات وخاصة مايدل منها على الحرفة (عربجى ، طرشجى ، جزمجى) ، وطريقة الاضافة فى بعض الكلمات بتقديم المضاف اليه على المضاف (كتبخانة ، انتيكخانة ...) . وانتقل الى اللهجة العراقية طريقة النعت الفارسية التى يقدم فيها احيانا النعت على المنعوت (فيقال « خوش ولد » : خوش كلمة فارسية معناها حسن ، ومعنى الجملة ولد حسن ، أو ما احسنه من ولد) ، وطريقة تنكير الاسم المفرد بذكر كلمة قبله تدل على الوحدة (« فرد رجل » « فرد مخالفة » ويقابل هذا فى الانجليزية a ، an وفى الفرنسية un ، une وانتقل الى معظم اللهجات العامية المتشعبة عن العربية طريقة الاضافة بتوسط كلمة تدل على الملك بين المضاف والمضاف اليه ، ففى مصر تتوسط غالبا كلمة « بتاع المحرفة عن متاع ، وفى تونس والجزائر كلمة «انتاع» او «تاع» المحرفة كذلك عن متاع ، وفى سوريا ولبنان كلمة « تبع » (الكتاب تبع محمد) ، وفى المغرب الأقصى كلمة « ديال » ، وفى العراق كلمة « مال » للمذكر و « مالة » للمؤنث (فيقال « الكتاب مال محمد» «الكراسة مالة محمد» اى كتاب محمد وكراسته) ، وفى نجد والحجاز كلمة « حق » للمذكر و « حقة » للمؤنث مع قلب القاف جيما (فيقال « الكتاب حج محمد» والكراسة حجة محمد» اى كتابه وكراسته)، ويقابل هذا فى الانجليزية حرف of ،

وفى الفرنسية حرف de

١٥ – انقراض بعض الكلمات لانقراض مدلولها او قلة استخدامه . فقد انقرض فى اللهجات العامية كثير من الاسماء العربية الدالة على أمور بطل استعمالها . ويصدق هذا على اسماء الملابس والأثاث وعدد الحرب ووسائل النقل وآلات الصناعة والمقاييس والنقود ومظاهر النشاط والنظم الاجتماعية ... التى كانت سائدة عند العرب فى عصورهم الأولى ، ولكنها انقرضت او لم يعد لها

شأن في عصورنا الحديثة ، فانقرضت معها الكلمات الدالة عليها .

١٦ – انقراض بعض الكلمات لثقلها على اللسان أو عدم تلاؤمها مع الحالة التي انتهت إليها أعضاء النطق .. وما إلى ذلك . وإلى هذا العامل يرجع السبب في انقراض كثير من الكلمات العربية من لغات التخاطب العامية في العصر الحاضر .

١٧ – انقراض الكلمة لدقة مدلولها ، أو لعدم الاحتياج إليه في لهجات المحادثة العادية ، أو قلة دورانه فيها ، أو وجود لفظ آخر مرادف له . فلهجات المحادثة تقتصر في العادة على الضروري ، وتنفر من الكمالي ، وتنأى عن مظاهر الترف . وإلى هذا العامل يرجع السبب في انقراض الآلاف من الكلمات العربية من لهجات المحادثة المعاصرة وفي تجرد هذه اللهجات من أهم خاصة تمتاز بها العربية الفصحى وهي سعة الثروة في المفردات وكثرة المترادفات .

ومع كثرة وجوه الخلاف بين اللهجات العربية العامية فإن المتكلمين بإحداها يستطيعون ، مع شيء من الانتباه ، أن يفهموا كثيرا من حديث أهل اللهجات الأخرى ، لاتفاقها في معظم أصول المفردات والقواعد الأساسية ومنحى الأساليب .

غير أن مجموعتين اثنتين من هذه اللهجات قد بعدتا نوعا ما عن بقية أخواتهما وعن العربية الفصحى ، وهما مجموعة اللهجات العراقية ومجموعة اللهجات المغربية في المغرب الأقصى والجزائر وتونس . أما العراقية فلشدة تأثرها بالآرامية والفارسية والتركية والكردية والانجليزية حتى أن قسما كبيرا من مفرداتها وبعض قواعدها غير عربي الأصل . وأما المغربية فلشدة تأثرها باللهجات البربرية التي كان يتكلم بها معظم السكان قبل الفتح العربي ، ولا يزال يتكلم بها في الوقت الحاضر بعض جماعات من سكان هذه البلاد ، هذا إلى تأثرها بالفرنسية الحديثة طوال مدة النفوذ الفرنسي في هذه البلاد .

وعلى الرغم من اختلاف هذه اللهجات في ظروفها ، فإنها قد تأثرت في بعض النواحي بعوامل متحدة ، فاتفقت في خصائص كثيرة يرجع أهمها إلى ما يلي :

١ – تجردها من جميع الحركات التي تلحق آخر الكلمات في العربية الفصحى ، سواء في ذلك ما كان منها علامة إعراب وما كان منها حركة بناء ، فينطق في جميع هذه اللهجات بجميع الكلمات مسكنة الأواخر ، وتلتزم حالة واحدة في الكلمات المعربة بالحروف ، ويعتمد في فهم الأمور التي ترشد إليها في العربية الفصحى علامات الإعراب (وظيفة الكلمة في الجملة ، علاقة عناصر العبارة بعضها ببعض ... إلخ) على سياق الحديث أو على كلمة مستقلة تذكر في الجملة أو على اجتهاد المخاطب وذكائه .

٢ – استبدل في هذه اللهجات بالطرق الدقيقة التي تسير عليها العربية الفصحى في ترتيب الجمل وترتيب عناصرها وأساليبها منطقي أحسن ، طرق بسيطة ساذجة وأساليب حرة طليقة .

٣ – لم تحتفظ هذه اللهجات إلا بجزء يسير من ثروة أمها العربية وثروتها العظيمة في المفردات . ويتمثل هذا الجزء في الكلمات الضرورية للحديث العادي .

هذا ، وإن تعدد هذه اللهجات ، وعدم ثبات أية لهجة منها على حال واحدة ، وفقرها المدقع في المفردات والقواعد وطرائق التعبير ... كل ذلك يجعلها غير صالحة في وضعها الحاضر لأكثر من الحديث العادي والتعبير عن ضرورات الحياة .

وليس من الممكن أن تصل هذه اللهجات في المستقبل إلى ما وصلت إليه اللهجات المتشعبة من اللاتينية ، فتصبح كل لهجة منها لغة مستقلة مكتملة التكوين ، صالحة للاستخدام في مختلف شئون التعبير والكتابة . وذلك لأن اللهجات المتشعبة من اللاتينية قد سارت في طريق النمو والرقي بفضل ما كانت تمتصه من أمها اللاتينية من حين لآخر ، وما كان يبذله علماء الأمم الناطقة بها طوال العصور الحديثة من جهود مقصودة لتوسيع نطاقها ، وتكملة نقصها ، وتهذيبها من نواحي المفردات والقواعد والأساليب ، وتدوين آثارها ، واستخدامها في الترجمة والتأليف الأدبي والعلمي ، على حين أن لهجاتنا العامية قد جمدت على أوضاعها الساذجة ، ولم يبد على أية لهجة منها جنوح إلى مفارقة هذه الأوضاع ، ووجد العالم العربي عامة وخاصته في العربية الفصحى ما يغنيه عن بذل أي جهد للنهوض بلهجات الحديث .

« دكتور علي عبد الواحد وافي »

بيرم .. والفصحى



بقلم محمود تيمور

أما صاحب هذه الرسالة ، الاديب « عبد الفتاح لبن » فقد عرفته منذ وقت بعيد ، عرفت فيه شغفا بالادب ، وتطلعا الى الفن ، وآنست منه حرصا على التعرف الى نخبة الادباء والفنانين ، قدامى ومحدثين، ممن أبلوا بلاء حسنا فى التعبير عن الحياة ، والاستجابة للمجتمع ، وكانت لهم عبقريات لامعة فى أدب أو تمثيل أو غناء . وانه ليعنى ما وسعته العناية بجمع ما تفرق من أعمالهم ، وما شرد من أخبارهم، وتصيد ذكرياتهم من هنا وهنالك، ليقدمها فى فصول ، أو يطبعها فى رسائل ، وهدفها الاول والاخير أن تكون تنبيها للاذهان الى ناحية مجهولة من نواحى أولئك العباقرة والنوابغ ، أو اشادة بفضل لهم منكور ، أو احياء لذكراهم خشية ان تذهب بها ريح النسيان .

واما رسالته الجديدة « **بيرم والفصحى** » فهى - على وجازتها - تخدم أغراضا شتى متصلة بحياة أديبنا الشعبى الكبير « محمود بيرم التونسى » ونواحى تفننه، عليه رحمة من الله ورضوان .

ففى هذه الرسالة من أحاديث « بيرم » الخاصة ، ومما كتبه عنه اعلام المفكرين من معاصريه ، شذرات غالية القيمة ، بتوضيحها لزوايا خافية ، وتقييمها لاتجاهات أدبية وفنية تتنازع فيها الآراء .

كذلك تضمنت الرسالة من شعر « بيرم » ومقاماته صفوة لا أحسب أنها تلاقت فى غير هذه الرسالة ، فهى مبددة الشمل فى الصحف والمجلات ، يتتيه الباحث فى ارتياد مواطنها لو شاء أن يعثر عليها . واشهد أنى على وثيق معرفتى « لبيرم » منذ أوليته طالعت فى هذه الرسالة ما فوجئت به ، ولعلى كنت أعلمه ثم أنسيته لطول العهد وتقادم الايام .

ولا شك أن فى ذلك كله ما يجعل من الرسالة مرجعا مفيدا للنقاد والباحثين حين تلزمهم مهمة النقد والبحث أن يطلبوا ذلك التراث فى مظانه ، فلا يتيسر لهم الحصول عليه الا بعد لأى وعناء تنقيب .

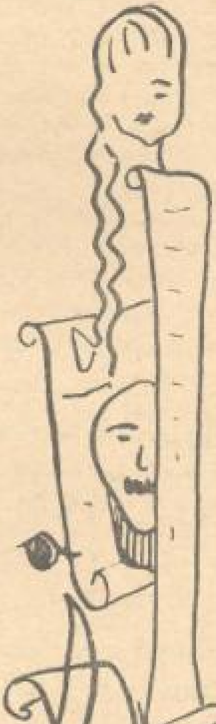
وثمة الغرض الذى اتخذه صاحب الرسالة عنوانا لرسالته ، ذلك هو مكان « بيرم » من الفصحى .وحق له أن يوجه الانظار الى هذه الناحية بوجه خاص ، فقد عرف «بيرم » بين معاصريه بأنه زجال ، والزجل هو الشعر باللغة العامية ، على حين أن « بيرم » كان له غير أزجاله من المنظوم بالفصحى قصائد عامرة ، ومقطعات بارعة ، وان حملت فى موضوعها وروحها سمات « بيرم » الاديب الاجتماعى الساخر فى ولعه بعرض الصور الطريفة من حياة الناس ، والتفاته الدقيق الى المشكلات التى يعانونها فى المحيط الشعبى الكبير .

والواقع أن « بيرم » لم يكن زجالا عامى الثقافة يستندى فطرته وموهبته فحسب ، ولكنه كان أديبا

البقية على صفحة ١٩

أين الشاعر الموهوب..!؟

للدكتور: عبد الرحمن عثمان



اجتازت الأمة العربية منذ نشأتها حتى اليوم مراحل تاريخية حافلة عرفت فيها السراء والضراء على السواء ، اذ اشتمل ماضيها على مجد لم يطاوله مجد ، وحاقت بها - حتى عهد قريب - محن نكر ، وأحداث جسام ، فقد بسطت سلطانها على ملك كسرى وقيصر ، وامتد نفوذها الى غرب أوربا حيث استحدثت هناك ثقافة كانت المنار للحضارة الاوربية الحديثة .

ولكنها ظلت فى أحوالها جميعا قوية البناء متماسكة القوى ، وضنينة بأصالتها التى لم تفارقها لحظة واحدة ، فما أطفاها مجد ، ولا أوهن عراها محنة ، فقد استعصت على الزوال حين اكتسحها البربر من التتار ، وحين حشد الصليبيون كل قواهم لتمزيقها وابادتها .

فى كل هذه الأطوار أثبتت النفس العربية أنها تحمل عنصر بقائها ، وسر وجودها حتى فى أحلك أوقات الشدة ، وأسوئها عبوسا ، فاذا ثارت حولها العواصف واعتكر أمامها جو الأحداث تجمعت منطوية على هذا العنصر الدفين فى أعماقها ، الذى تستمد منه حياتها وبقاءها فى كل دور من أدوار قوتها أو ضعفها ، وهذه الحياة المتجددة فى النفس العربية تدين فى نشاطها الى أمرين هامين هما : « العقيدة ، واللغة » ، وكلما طالت المظالم صوابها رجعت تلتمس الرشد فى رحاب العقيدة ، وعطفت تبتغى الهدى والعزة فى لغتها التى حفظها القرآن الكريم ، وضمن لها البقاء والحياة على كل لسان عربى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ، والفصحى بعد هذا الضمان الالهى باقية ما بقى كتابها المقدس ، فقد سامها العثمانيون خسفا ، وأذاقها المماليك ظلما وعسفا ، فما تصدع لها كيان ، وما احتبست على الألسنة ، ولم تذهب بددا فى أعاصير البغى وعواصف الطغيان ، والعاتماسكت فى تجلد عجيب ، واستمسكت بحبل من العقيدة واللغة ، فبقيت بهما حية ، واستعصت على الفناء ، ولاذت بالصبر فى ليل المحن الطويل حتى وجدت فضلا من قوة انطلقت انطلاق المارد

الذى طال حبسه فى « القمقم » ، وذهب الركام ، واخذ الجوهر الذى كان مطمورا يلمع ويتألق من جديد ، ومن ثم اندفعت الى ومضات العلم الذى حملته الحملة الفرنسية معها ، ثم تملات بنوره فى عصر محمد على الكبير ، وحين ادركت ان العلم هو طريقها الوحيد الى الخلاص والرجعة الى الماضى العزيز مضت فى الاستزادة منه ، ولم تتوان فى تحصيله حتى فى عهد « النكسة العلمية » على عصر عباس الاول ، بل ظلت عاكفة عليه فى صدور أبنائها الذين حملوا لواءه فى اصرار وتصميم من امثال الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى ، والامام محمد عبده ، والشيخ حسن الطويل ، وعلى باشا مبارك ، فهؤلاء جميعا أخذوا فى عهد اسماعيل ينعشون النفس العربية بالمعرفة ، ويغرسون فيها أكرم المبادىء ، وأشرف المثل .

ولم ينس هؤلاء القادة الدرس الذى عرفوه من سياسة محمد على الكبير حين جند المواهب العربية ليبنى من مجهوداتها مجد اسرته ، فاخذوا يعملون على بعث النفوس باسلوب يحيى فيها الثقة ويثير لديها شعورا بالكرامة ، واحساسا بالنزوع الى الحرية والاستقلال ، فتابت على قبول المهانة ، وارتفع صوتها فى وجه الدخيل الغاصب ، وحينئذ فقط بدات العوامل النفسية تنشط نشاطا عجيبا ، فقد توافرت البواعث ، وتهيات الدوافع بما يؤذن باليقظة ويشير الى ظهور فجر جديد .

ومما هو جدير بالملاحظة ان وقع المظالم كان شعورا صامتا احتضنته القرية العربية، وعملت على بعثه فى نفوس ابنائها الذين يدرجون فيها حفاة جياعا عراة الا مما يستر منهم العورة ، ولهذا كان جميع دعاة التحرر تقريبا من ابناء القرى ، وقل ان تجد رائدا حمل لواء الثورة على المظالم من سكان المدينة ، وتعليل هذا واضح لا يحتاج الى بيان طويل ، فقد فرض على القرية ان تشقى وتكدح ، وفرض عليها كذلك ان تقدم صاغرة الى الوالى ثمرات شقائها وعرقها ، على حين انها لا تكاد تعلم شيئا عن تصرفاته الا هذا الذى تعلمه من الكذب الجارى على السنة جباته وكشافه ، فانهم يؤكدون دائما ان الوالى – وهو ولى النعم – عادل رحيم بشعبه يؤمن بالله ورسوله ويعظم الشعائر الدينية !! ، وانه يحب من شعبه الامتثال لأوامره ، والمبادرة بدفع الضرائب وما يفرضه من « مكوس » فذلك خير ما يحبه من شعبه وما يحب شعبه من اجله !! على ان ولى النعم يبغض كل من تحدثه نفسه بالعصيان او التظاهر بالعجز عن دفع ما يطلب منه ، لان طاعته من طاعة الله تنزه عن الظلم والظالمين .

وبهذا الأسلوب الذى يصوغ البؤس والابتزاز فى عبارات تستعار من الدين وتعاليم الدين منها براء ، فهمت القرية العربية فى مصر انها البقرة الحلوب لأسرة محمد على ومن يناصرهم من مختلف الطوائف ، وكانت من قبل تعرف بهدى من الفطرة والمنطق البسيط ان ابناء القرية هم اصحاب هذا الخير ، وحقيقون به ، وان الوالى وجباته القساة مغتصبون لما هو من خالص حقهم ، وبهذا اصبحت القرية بيئة صالحة لنشأة المشاعر القومية التى كان من اجل نتائجها ايقاظ الحياة الادبية ، ولهذا كان دعاة هذه اليقظة من ابناء القرى التى بعثت بهم الى الأزهر حيث الثقافة والمعرفة ، ثم قذف بهم الأزهر بدوره الى قيادة الشعب وتوجيهه .

قلت ان اللغة هى احد العنصرين اللذين ضمنا للنفس العربية حياتها فى تاريخها الطويل ، واللغة عنصر قوى فى اقامة مجتمع متماثل ، ودورها لا يمكن ان يجحد فى ارساء صرح القومية ، لانها الوسيلة الوحيدة التى تنقل المشاعر من نفس الى نفس ،وبها يتم الاجتماع على الوحدة ، والالتقاء على هدف مشترك ، وبغير اللغة تظل الأحلام القومية نهبا للتبدد والضياع ، ومن هنا نشعر ان الدعوة الى اطراح اللغة التى تستند على دستور العقيدة وهو القرآن الكريم دعوة بشعة يقصد منها تفريق الأمة العربية الواحدة، ودفعها فى سبل لا تلتقى من العامية ذات اللهجات المختلفة .

وبهذا تكون الفرقة التى لا لقاء معها ، والضيعة التى يذهب معها كل مجد مأمول لهذه الأمة ذات الطموح فى وقت وضعت نفسها على الطريق وبدات تخطو فى ثبات وعزم .

ومن هذا كله ندرك ان الطبع العربى يحيا دائما فى اطواء النفس العربية ، ويصاحبها عبر تخطيها العصور والأجيال ، فهى فى امساكها له ، وحرصها عليه اشبه ما تكون بالأسفنجة التى قد يجف سطحها بعد ان يمتص جوفها الماء ، فاذا عصرت انبثق الماء مؤكدا انها تحمل فى اعماقها عنصر الحياة .

وهكذا النفس العربية كلما اعتصرتها محنة او اجهدها حرور يجتر غذاءها من عناصر حية يعيش فى تجاويفها ، فهى مشدودة دائما الى ماضيها بخيوط غير منظورة ، ومن ثم كانت رجعتها الى الطبع والأصالة من اهون الأمور لديها .

والتحرر القومى ظل املا عزيزا من آمالها التى لم تفارقها فى شتى مراحلها التاريخية وصار يصحبها فى ضمور ابان محنتها ولكنه سرعان ما يحس بالدفء الذى يسرى اليه من وقدة شعورها بالكرامة ، ومن حرارة النزوع الى الحياة الحرة الكريمة ، فلا يلبث عندئذ ان يجتمع اليه نشاطه فينطلق هادرا فى اعماقها حتى يحيل كل شىء فيها الى حركة ونشاط ، شانه فى ذلك شان التيارات التى تتجمع فى اعماق المحيط ثم لا تلبث ان تندفع قوية الى سطحه فجاة لتصنع موجه العالى الذى يهدر بالقوة ويمضى قدما الى غايته .

ان الأمة العربية التى رزحت تحت نير الاستبداد امدا طويلا لم تفقد مواهبها القديمة التى ورثتها من المدنيات المتعاقبة ، بل ان هذه المواهب كانت كامنة فى وجودها لا تمتد اليها يد البطش والجبروت لانه عنصر منيع ، ومعنى يستعصى على يد كل متناول وقد ظهر ذلك واضحا فى كفاح المصريين لحكم نابليون ، وما زال قويا فتيا متماسكا فى المراحل التى اعقبت احتلاله القصير ، ثم نراه ينطلق على اتم ما يكون الانطلاق فى ثورة عرابى ، ثم نجده يتجدد فى ثورة ١٩١٩ .

ولسنا نستطيع المضى فى الحديث دون ان نشير الى ان الأزهر كان بمثابة النواة الشعورية التى كانت تدور حولها المشاعر العربية والاسلامية فى مختلف الاحداث والعصور ، ولهذا كان من ابرز مفاخر ثورتنا الوطنية الحاضرة انها اعادت الى هذه القوة الدافقة نشاطها وشبابها حين قدمت اليه ما نشاهده فى يقظته الجديدة ، فهذا القائد الفرنسى نابليون يسجل فى مذكراته التى املاها على الجنرال « برتران » فى سانت هيلين ما يرويه الجبرتى فى تاريخه من ان الشعب المصرى قد انتخب ديوانا للثورة ونظم المتطوعين للقتال واستخرج الاسلحة المخبوءة ، وان الشيخ السادات انتخب رئيسا له ، كما ذكر فى تقريره الى حكومة « الديركتوار » عن ثورة القاهرة : « ان لجنة الثورة كانت تنعقد فى الأزهر » .

(البقية على صفحة ٢٢)



الزواج والطلاق

على الطريقة الأوربية

للدكتور: محمد رشاد سالم

هذه الضجة المفتعلة التي اثيرت ولم تزل ثائرة هذه الايام في الصحافة والتليفزيون والاذاعة حول ما يسمونه « بقانون الاحوال الشخصية » ماسرها وما خبيئتها ؟ وهل غايتها هي مجرد انقاذ « ضحايا » التعدد والطلاق . أم أن الامر أبعد من ذلك وأعمق غورا ؟

ان آخر الاحصاءات الحكومية الرسمية الصحيحة — لا المزيفة التي تنشر في بعض المجلات — تدل على أن نسبة عدد المتزوجين باثنتين هو ٥ر٣٪ وبثلاث ٣ر٪ ، وان نسبة المطلقات هي ٢٪ (انظر احصاء مصلحة الاحصاء ، القاهرة ، ١٩٦٣) فليس في الامر مشكلة ، ولو كانت مشكلة فليس هذا وقت حلها ، فنحن نواجه مشكلات شديدة الخطر مخوفة العواقب ، والاستعمار والصهيونية يتربصان بالعرب والمسلمين الدوائر ، فالواجب علينا أن نتحد لمواجهة الخطر ، لا أن نتفرق ونختلف على أمور لا أهمية لها الا في أوهام صانعيها ؟ . بل أكثر من ذلك أن الذي هو أحرى بالاهتمام وأجدر بالبحث ما نجده من عزوف الشباب عن الزواج اذ أن الاحصاءات تبين أن النسبة العددية لمن لم يتزوج من الذكور (في سن الثامنة عشرة وما فوقها) هي ٢٤٪ ومن الاناث (في سن السادسة عشرة وما فوقها) هي ١٣٪ ، وأما نسبة الأرامل من الذكور فهي ٢٪ ومن الاناث ١٧٪ . فكان الأولى بالمتباكيات على « ضحايا » التعدد والطلاق أن يفكرن في حل مشكلة العانسات والأيامى اللواتي أفاض كتاب الغرب في وصف العذاب الذي يلاقينه في وحدتهن القاسية ، وكيف تمضي بهن السنون بغير مؤنس ولا رفيق حتى يذبل عودهن وتجف نضارتهن فيلذن بكهف مظلم من الحسرات والعذاب . وهذا في الغرب حيث لا صعوبة في مخادنة الرجال بغير زواج ، فما بالك بشرقنا الذي ما زال يتمسك « بالتقاليد » ؟ وهل يا ترى فكرت « المتباكيات » فيما يعقب الانصراف عن الزواج ، وفيما يصاحب هذا النمط الغربي (الشيوعي أو الرأسمالي فهما سواء) من الحياة الاجتماعية الذي يدعوننا اليه من كثرة العلاقات غير الشرعية وزيادة عدد الاولاد غير الشرعيين . وكيف يحيا هؤلاء الاولاد حياة كلها خزي ومذلة وهوان ؟!

لقد ضاق الغرب بنظامه « الكنسي » في الزواج والطلاق حتى صارت مهاجمة هذا النظام موضوعا رئيسيا في الادب والفن الغربي . ولقد رأينا في القاهرة فيلما ساخرا يهزأ بنظام الطلاق « الكاثوليكي » وفيه العبرة لنا كل العبرة . لقد اضطر الزوج الى كره زوجته ولم يجد وسيلة لفراقها الا أن يحضر في داره عشيقا سابقا لزوجته ويفسح لهما المجال ليستأنفا علاقتهما الآثمة حتى يمكنه بذلك قتل زوجته دفاعا عن « شرفه » ولما تم له ذلك دخل السجن راضيا ليقضي مدة العقوبة المخففة في مثل هذه الحالات ، ولما خرج تزوج بفتاة كان يحبها ، ولكن الفتاة المحبوبة عشقت في مدة سجنه شابا جعلته « احتياطيا » الى جانب الزوج الكهل ! .

أما الزواج بأكثر من واحدة فقد رأى فيه بعض كتاب الغرب ومفكريه الحل الوحيد لمشكلة زيادة عدد الاناث على الذكور . فكتبت الصحف قديما وحديثا تدعو اليه . بل كادت حكومة ألمانيا تأخذ به في وقت من الاوقات .

ومع هذا كله ، ومع ما في الغرب من انحلال واباحية لا تحتاج الى اثبات ، فان دعاة « التجديد » لا يهدأ لهم بال حتى نحيا مثله ، ونأخذ بنظمه : حلوها ومرها ، خيرها وشرها .

ولكن هل الامر امر تقليد الضعيف للقوي فحسب ، او هو مجرد « معركة » تخوضها بعض طالبات الشهرة والمجد ؟ كلا . بل ان الأمر أعظم من ذلك وأخطر ، ولولا ذلك ما كلفت نفسي كتابة ما اكتبه اليوم . انه امر دبر بليل ، ليل حالك الظلام رهيب فظيع . ولهذا حديث طويل . واني لمحدثك اليوم ببضعة وبالله تعالى أستعين ، ومنه سبحانه أرجو التوفيق والهداية .

اما هذا الليل المخوف الذى لا قمر فيه يؤنس ، ولا نجم فيه يرسل بصيصا من الضوء ، والذى تخرج يدك فيـه فلا تكاد تراها ، فهو ليل التبشير والاستعمار • وهو ليل ظن الكثيرون منـا أنه قد انجلى ، وان شمس الحرية قد بددته ، وليس كما يظنون ، فما زالت أكثراطبافه لم تنحسر ، وأكثر سدوله مرخاة لم ترفع • ولقد حدثنا ببعض حديثه الاستاذ محمود شاكر فكشف اللثام عن بعض خباياه ، وبين بتوفيق عظيم من الله تعالى الكثير من مخازيه وخفاياه ، وأرجو بحديثى هذا أن أكشف عن جوانب أخرى منه ، وما أكثر جوانبه وأقبحها ؟

لقد بدأ الاستعمار التبشيرى أو التبشير الاستعمارى يتسلل الى العالم الاسلامى قبل قرن ونصف قرن وهو يهدف الى أمرين : الأول : هو القضـاء على هذا الدين الذى هـدد بلاده بالغزو وحضارته بالزوال والذى كان سر وحـدة المسلمين وقوتهم والثانى : هو أن يستحوذ على خيرات العالم الاسلامى الضعيف المتهالك ، وأن يستنزف دماء أهله لمصلحته ونفعه ومتعته •

وكان الارتباط بين الاستعمار والتبشير وثيقا ، فكل منهما كان يسخر الآخر لخدمته ، حتى أصبحا شيئا واحـدا • ولذلك قال جلادستون رئيس وزراء بريطانيا انه لن يقر للغرب قرار ما لم يقض على هذا الكتاب ، يعنى كتاب الله • ثم قال أخ له من بعد حينما دخلوا فلسطين : « الآن انتهت الحروب الصليبية » وقال كرومر ، طاغية مصر ـ وكان صادقا فيما قال : « ان انجلترا لا تريد أن تحتل مصر احتلالا دائما ، وانما تريد أن تغادر مصر، وقد تركت فيها حكومة صديقة لمبادىء الحضارة المسيحية » • وهذا كلام له دلالته الواضحة ، فان قتل الأسد لا يفيد الصياد ، أما انتزاع أظافره واقتلاع أنيابه واستئناسه فهو الكفيل بتسخيره لمصلحته وفائدته • ولهذا فان الوجه التبشيرى من هذا المسخ بدأ عمله بمحاولات سافرة لرد المسلمين عن دينهم فلم ينجح ، بل أثار بذلك حفيظة المسلمين وكان سببا فى تماسكهم ، فتقدم الوجه الاستعمارى بطرق أخبث وأخطر اراد أن يزيل بها الجفوة بينه وبين المسلمين ، وأن يضمن بها ابعادهم عن حضارتهم ودينهم واقترابهم من حضارته ودينه ، لا حبا فى المسيحية ، فهو بعيد عنها ، بل كراهية للاسلام وخوفا منه •

ولقد بين لنا الاستاذ محمود شاكر من هذه الوسـائل أهمها وأخطرها ، وهو العمل على افساد لغة القرآن ، ولبه الى استيلائه على صـحافتنا استيلاء يكاد يكون كاملا ضـاعت معه أصوات المخلصين وسط نعيق دعاته وأعوانه •

واليك ما ذكره لنا عرابى عن منشىء أكبر جريدة فى العالم العربى والاسلامى ـ وذلك بعد الاحتلال ودخوله السجن ـ قال : « •• وبعد ساعة جاء ليزورنى بشارة تكلا محرر جريدة الاهرام وظننت أنه قدم ليعزينى وليبدى عواطفه نحوى ، وقد كان ممن يدينون بمبدئنا قبل الحرب ، وقد أقسم بدينه وشرفه أنه واحد منا وانه يعمل لحرية وطننا ، وقد عددناه فى الحق من الوطنيين ولكنه لما دخل على ترقع أشد الترقع ، ثم قال : أى عرابى ماذا صنعت وماذا حل بك ؟ ورأيت أن الرجل خائن ولا شرف له ، ولما لم أجبه أدار ظهره وانصرف » (أحمد عرابى لمحمود الخفيف، ص ٤٦٥) • وأما جورجى زيدان مؤسس دار الهلال فيكفى أن نذكر ما كتبه عن تاريخ الاسلام ـ وخاصة فى رواياته وقصصه ـ وكيف عمد الى ابرازه فى صورة مشوهة ، وخلط الحق فيـه بالباطل ، حتى انبرى الشيخ شبلى النعمانى من علماء الهند للرد عليه وألف كتابا فى نقد كتابه « تاريخ التمدن الاسلامى » •

ومع الاستيلاء على الصحافة هيمن الاستعمار على التعليم ووجهه الوجهة التى تحقق أهدافه ، ثم أرسل البعثات الى بلاده واستطاع أن يكون من بعض رجالها ونسائها جيلا بعد فى تفكيره وحياته بعدا كبيرا عن تعاليم الاسلام وآدابه ، وعلى أيدى هؤلاء استمر عمل الاستعمار فى هدم حضارة الاسلام وبناء حضارة هى صورة باهتة ضعيفة من حضارة الغرب •

وقد اهتم الاستعمار بوجه خاص بتعليم المرأة وأرسل بعثاته التبشيرية لكى تفتح المدارس لتعليم الفتيات خاصة • وكان فى هذه المدارس من الرعاية والعناية ما دفع بعض الآباء ـ وخاصة من الأغنياء ـ الى نسيان مافيها من خطر على دين بناتهن وقوميتهن فدفعوا بهن اليها ليخرجن منها وقـد اختلت عقولهن وتسممت أفكارهن وتبدلت عاداتهن وتكسرت لغتهن حتى لم يبق لهن من الاسلام الا الأسماء • وكان هذا الجيل من النسـاء هو الجيل الذى تكون منه ما كان يسمى « بالطبقة الراقية » ومنها خرجت أكثر رائدات « الاصلاح » الاجتماعى والعاملات على « تحرير » المرأة • وكان أكثر هؤلاء وأبرزهن فى مصر مركز العالم العربى والاسلامى •

أما كيف نجح هذا الجيل من الرجال والنساء الذين صنعهم الاستعمار على عينه وأرضعهم من لبان حضارته فى تبديل حياتنا الاجتماعية تبديلا شاملا فان لهذا قصة طويلة تحتاج الى دراسـة مستأنية فاحصة تكشف عن الجذور العميقة التى لا تظهـر على السطح • أما المختصر الشديد الايجاز لهذه القصة المحزنة فيذكر لنا ان الحملة بدأت أول الأمر على «الحجاب» وعلى نظام «الحريم» التركى ، وقالوا ان المرأة المسلمة كانت تخرج الى الاسواق وتحضر مجالس العلم وتشارك الرجال فى حربهم وسلمهم ، وهو كلام حق فى ذاته ولكن أريد به الباطل • ولو كانت الدعوة مخلصة ولم يكن الاستعمار هو المحرك للقائمين بها ـ من حيث يشعرون أو لا يشعرون ـ لانتهت الى اصلاح حال المرأة والمجتمع اصلاحا حقيقيا ينبنى على تقدم النساء فى العلم والعمل والاخلاق ، مع تمسكهن بآداب دينهن وفضائل قومهن ، ولكنها انتهت الى خروج المرأة المسلمة من حجابها القديم الى العرى الحديث حتى لبست « البكينى » و «بدلة» الرقص ، وأصبحنا فاذا بنا نراها عارية كل صباح فى « صحافتنا » وكل مساء فى دور السينما •

وهذا يقودنا الى الدور الخطير الذى لعبه « الفن » فى هـذه المأساة ، فقد جند الاستعمار رجاله ونساءه من اليهود مثل يعقوب صنوع وبعض المارونيين لكى يؤسسوا «عالم المسرح» ، ثم أرسل صنائعه من الاجانب لينشئوا شركات الانتاج السينمائى ، وكان الناتج من ذلك كله « فنا » عماده استغلال الغـرائز واستثارة الشهوات بدلا من أن يكون فنا يسمو بالنفوس ويهذب الأخلاق•

ثم جاءت السينما الامريكية اليهودية بافلامها فكانت أشد فتكا من السموم والقنابل ..

ولعب « العلم » دوره في المركة فقال « جهابذته » ان عزل الرجل عن المرأة عزلا تاما يفسد كليهما ، اذ يثير شوق كل منهما الى الآخر ويؤدى الى « الكبت » ويسبب « العقد النفسية » الى آخر ما قالوه من كلام أكثره باطل واقله حق . وزالت الموانع والسدود واختلط الشاب بالفتاة وفى قلب كل منهما ريح تعصف ونار تحرق . فلا هما اعتصما بآداب دينهما ، ولا هما أخذا بنظام الغرب حيث أصبحت العفة مسألة تاريخية قديمة لا علاقة لها بالعرض والشرف . وحيث يصادق الشاب العشرات من صديقاته سفاد البهائم حتى يجد من بينهن من يرتاح اليها ويجد عندها « الاكتفاء » الجنسى والنفسى فيتزوجها ولا بأس ان تكون قد عاشرت العشرات من قبله . على أن استمرار هذا الوضع مستحيل خاصة مع تأخر سن الزواج وكثرة نفقاته وزيادة أعبائه . فلا بد أن نصير الى ما انتهى اليه الغرب من انحلال وتهتك ، الا أن يتداركنا الله برحمته فنتنبه الى سوء العاقبة ونسلك طريق الاستقامة ..

على أن تغيير وجه الحياة الاجتماعية عند المسلمين لا يكفى المستعمر بل لابد ولا مناص من أن تتغير الشرائع التى تنظم هذه الحياة . ولذلك عيروا المسلمين قديما – وما زالوا يعيرونهم – بما لديهم من تعدد فى الزوجات وتفش فى الطلاق . وبرز بعض الرجال الذين اختلط اخلاصهم وحماستهم بالغفلة والضعف والافتتان بحضارة الغرب فقالوا ان الاسلام انما أباح التعدد والطلاق للضرورة ويجب تدخل الحكومات لتقييد أو منع هذه المباحات » . وكان هذا أول نصر للاستعمار فى هذه القضية ولكنه نصر لم يبلغ مداه لأن الأمة الاسلامية كان فيها حينذاك من علماء الدين من لا تنقصه الشجاعة ولا الورع ولا الاعتزاز بدينهم ، فتصدوا لأولئك وألجموهم وكشفوا عن عوارهم وسوء مقالتهم .

ومع توالى السنين وازدياد جهل المسلمين بدينهم قويت الحملة وضعفت المقاومة شيئا بعد شىء حتى بلغنا يومنا هذا فاذا بنا تجاه هذه الضجة التى حدثتك عنها أول الامر . واليك نماذج مما نقرأه فى صحافتنا اليوم .

كتبت رئيسة تحرير مجلة « حواء » كلاما سبق لها ان رددته – فى مجلة « المصور » (عدد ١٢ فبراير) قالت فيه : « أما لماذا يكون هذا الاصلاح الناقص اقصى ما يمكن ، فلأنهم فى رأيى يعتمدون فى أى خطوة يخطونها على ما جاء بالمذاهب التى وضعها علماء فى قديم زمن ، ولقد مات آخرهم منذ الف سنة ، أى عندما كان العالم يعيش فى قلب القرون الوسطى ، ورغم أن أولئك الفقهاء كانوا أعلم الناس بالدين فى عهدهم ، غير أن منطق الحياة التى عاشوا فيها لا يمكن أن يلبى مطالب القرن العشرين » .

أما جريدة الاخبار فقد طالعتنا فى عددها الصادر فى١٤فبراير بمقال عنوانه : « المرأة تعثر فى كتب الفقه على رأى يقول : تعدد الزوجات حرام فى الاسلام » ونقلت الصحيفة فى مقالها كلاما عن كتاب « نحن النساء المصريات » لمؤلفته أنجى أفلاطون جاء فيه : « ان أى اصلاح لا يجب أن ينصب على القوانين الوضعية القائمة فحسب ، بل يجب أن يمتد كذلك الى تطور الاخلاق القومية والقضاء على التقاليد القديمة التى ما زالت باقية منذ آلاف السنين متحدية كل تقدم اجتماعى وثقافى » . ثم نقلت الجريدة عن بحث لعبد العزيز فهمى (باشا) – صاحب الدعوة الى الكتابة بالحروف اللاتينية – قوله : « ان عبارات : مثنى وثلاث ورباع لم يقصد بها التعدد ، والا كان العدد يصل الى تسع زوجات وثمانى عشرة زوجة لأن الأعداد معطوفة على بعضها بالواو اذا أريد فهم الآية فهما حرفيا !! » .

والآن فقد تحول الأمر من مجرد مهاجمة تعدد الزوجات والطلاق الى مهاجمة علماء الاسلام ، ثم الى تبديل معانى آيات كتاب الله . بل لقد تعدى الأمر ذلك كله الى مهاجمة صريحة لنصوص الشريعة فقد خصصت مجلة « الهلال » فى عددها الاخير (مارس ١٩٦٥) قسما كبيرا منها للكلام عن المرأة وبدأته بمقال عنوانه « هذا هو موقف المرأة فى العالم » (ص ٤٢ – ٤٣) : « .. قوة الفساد والافساد . من لا يلعنها مجنون . مصدر كل شر . روح الشيطان . حية رقطاء أكثر مرارة من الموت . حيوان جميل . ناقصة عقل ودين ... وأوصاف أخرى لا تقل بشاعة أسبغها الرجل منذ فجر التاريخ على المرأة » . ومن المعلوم أن عبارة : « ناقصات عقل ودين » التى وصفت بأنها من الاقوال البشعة قد جاءت فى حديث الرسول الصادق صلى الله عليه وسلم ، وهو حديث صحيح جاء عن ابن مسعود وابن عمر وأبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهم ورواه الكتب الستة (البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود والنسائى وابن ماجة) وأحمد فى مسنده . ووصف المرأة بنقصان العقل يعنى ضعف القدرة على ضبط العواطف والانفعالات وهذا ما لا يمكن انكاره ، ولا ينتقص من فضل المرأة ولا أجرها . ولفظ الحديث : « يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فانى أريتكن أكثر أهل النار فقلن : وبم يا رسول الله ؟ قال : تكثرن اللعن وتكفرن العشير ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من احداكن . قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال : أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟ قلن : بلى . قال : فذلك من نقصان عقلها . أليس اذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟ قلن : بلى . قال : فذلك من نقصان دينها » .

أما التليفزيون فقد عقد عدة ندوات لمناقشة « المشكلة » دعا فيها مجموعة من المتحدثين عرف أغلب أعضائها بمهاجمته الصريحة لقوانين الاحوال الشخصية فى مجلات دار الهلال . ورأينا وسمعنا فى هذه الندوات الغرائب حتى أن السيد مقدم البرنامج وقف بعض صغار التلاميذ ليدلوا برأيهم فى « المشكلة » ثم انهى الندوات بدعوة الى « مناقشة » مفتوحة للمشكلة فى كافة المجالات؟

وهكذا تمضى الحملة الى غايتها ، وليست غايتها هى تعديل القوانين فما أظن ان هذا يمكن حدوثه ومجلس الأمة أغلبه من

العمال والفلاحين الذين مازالت فطرتهم سليمة لم تفسد بعد، ولكن الغاية المقصودة هي أن يصبح الزواج بأكثر من واحدة ـ مهما كانت أسبابه ومبرراته ـ أمرا مقيتا مرذولا ، ويصير الطلاق ـ أيا كانت دوافعه وحوافزه ـ مما يشين الرجل ويعيبه ، وهكذا سيدفعنا العرف الجديد و « التقاليد » الاجتماعية الحديثة الى ان نحيا حياة مماثلة لحياة الغرب فيفضل الرجل عندها أن يقع في الحرام ويقترف الزنا مادام ذلك أهون عند الناس من التعدد أو الطلاق . وأما الغاية الأخيرة فهي التشكيك في صحة هذه الشريعة ، والاعتقاد بأن هذا الدين انما كان مناسبا للناس في القرون الوسطى ، ولكنه لايناسبنا في العصر الحديث .

ولذلك فان المبصر الصحيح بحقيقة مقاصد هذه الضجة المثارة وأهدافها يستلزم أن يعيد الشعب النظر في أمر وسائل الاعلام المختلفة حتى ينقيها من كل ماينأى بها عن بلوغ أهدافها الصحيحة ويطهرها من كل من يسير بها ـ سواء عن فهم أو عن جهل وغفلة ـ في الطريق الذي رسمه الاستعمار والتبشير بخبث ودهاء بالغين .. وليس هذا بكثير علينا وقد نجحنا في كثير من معاركنا السياسية ، وهو ممكن لنا يوم ندرك حقيقة الدور الذي يمكن لأمتنا العربية الاسلامية أن تقوم به في وسط أمم الغرب التي أوشكت حضارتها على الافلاس .

وبعد ، فهذا حديث عن جذور المشكلة وأسبابها ، لم أقصد به أن أشرح نظام الزواج والطلاق في الشريعة ، فقد عرضت لذلك كتب كثيرة وأساتذة عديدون أذكر منهم الشيخ أحمد شاكر رحمه الله ، والاستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه « بيت الطاعة وتعدد الزوجات والطلاق في الاسلام » وغيرهما من أفاضل العلماء والباحثين .

الا انني سأشير اشارات موجزة الى بعض الحقائق في هذا الموضوع ، فالزواج بأكثر من واحدة ـ الى أربع ـ هو « حلال » للمسلم وليس « مباحا » يمكن لانسان ـ كائنا من كان ـ أن يقيده الا أن يكون محرما لما أحل الله . وقد فهم الصحابة ـ وهم خير من يفهم الشريعة ـ هذا الأمر فتزوج معظمهم بأكثر من واحدة ، وجرى الامر على ذلك بين المسلمين جميعا طيلة القرون الماضية ، حتى أن أجدادنا كان أكثرهم يتزوجون بزوجتين أو أكثر ، ولم يقل مسلم ان هذا يجب تقييده ، حتى ابتلينا بالاستعمار فبدأت الفتاوى تظهر و « المجتهدون » ينبغون !!

وأما اشتراط العدل والضرورة فباطل . فان العدل معناه وجود زوجتين أو أكثر ليعدل بينهن ، فكيف نشترط العدل على رجل لم يتزوج بعد الزوجة الثانية ! وغلبة الظن هنا لاتنفع شيئا ، فان من يظن به العدل قد يظلم ومن يظن به الظلم قد يعدل ، وان الظن لايغني من الحق شيئا . وأما اذا ربطنا بين العدل وبين القدرة على الانفاق فاننا نكون بذلك قد أبحنا للغني ماحرمنا على الفقير ، وما أظن أحدا يقول بذلك اليوم . وأما اشتراط **الضرورة** فلا دليل ـ ولا شبهة دليل ـ عليه من الكتاب والسنة .

ومن الأمور العجيبة أن لجنة الاحوال الشخصية أخذت برأى مرجوح في مسألة التعدد وهو اعطاء حق طلب الطلاق للزوجة الاولى اذا تزوج زوجها بثانية . وقال الشيخ فرج السنهوري لمندوب « الاهرام » في تعليل سبب أخذ اللجنة بهذا الرأى مع عدم اقتناع أكثر أعضائها به هو أنهم فعلوا ذلك « **من أجل اسكات النابحات فقط !!** » . وقد استدل بعض أعضاء اللجنة على جواز ذلك بقصة علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما رغب في زواج بنت أبي جهل في حياة فاطمة رضي الله عنها فلما استؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك قال : « فلا آذن ثم لاآذن ثم لاآذن ، الا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم ، فانما هي بضعة مني يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها .. وقد عرض الشيخ أحمد شاكر لهذا الموضوع (ذيل عمدة التفسير ٣ـ١٠٦) فقال ان أصحاب هذا الرأى لم يذكروا بقية الحديث : « **واني لست احرم حلالا ، ولا احل حراما** ، ولكن والله لاتجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله مكانا واحدا أبدا . وهذه البقية في البخاري ومسلم .

وبين الشيخ أحمد رحمه الله سبب المنع فقال : « وانما منعه منعا شخصيا بوصفه رئيس الأسرة التي منها علي بن أبي طالب وفاطمة ابنته ، بدلالة ان أسرة بنت أبي جهل هي التي جاءت تستأذنه فيما طلب اليهم علي رضي الله عنه . وكلمة رئيس الأسرة مطاعة من غير شك ، خصوصا اذا كان ذلك الرئيس هو سيد قريش وسيد العرب وسيد الخلق أجمعين صلى الله عليه وسلم »

وأخيرا ، فان الحديث يحتاج الى مزيد بسط وتفصيل ولعلي أعود اليه مرة أخرى ان شاء الله ، وبالله العون ومنه الهداية والسداد .

دكتور محمد رشاد سالم

رسول الاسلام ... بين اليسار واليمين



بقلم: فتحى عثمان

- ٢ -

سياسة رسول الاسلام فى دعوته وموقف الفئات الاجتماعية منها

«واول الذين دخلوا فى الاسلام من التجار كانوا يتميزون بطابع خاص ، فهم اما اصدقاء مقربون للنبى مثل ابى بكر ، واما اصدقاء مقربون لابى بكر مثل عثمان وغيره ممن اقنعهم ابو بكر بالاسلام ، وكل اولئك كانوا قلة ...» (ص ٤١ – ع ٤٦) .

والكاتب يمضى فى تلوين الوقائع ليؤكد (ثانوية التجارة) فى تابعى النبى ، كما اكدها بالنسبة للاسلام ... وهو ينسى أن المدينة كمكة كانتا محطتين على الطريق التجارى البرى ، وأن تجارا هنا وهناك آمنوا بالاسلام .. وأن ملاكا للأرض الزراعية آمنوا فى المدينة ، وملاكا زراعيين مثلهم حاربوا الاسلام فى الطائف .. وأن قبائل متعددة حاربت المسلمين فى غزوة (حنين) .. وأن (العصبية القبلية) كانت عاملا لا يمكن اغفاله بجانب العوامل الأخرى من اقتصادية وغيرها !

ونحن نجد فى دراسة الردة وادعاء النبوة هذه العوامل المتعددة متلاحمة متفاعلة .. حتى ان الذين منعوا الزكاة مثلا لم يمنعوها لأنها حق الفقير او لم يمنعوها فقط لهذا السبب على الاقل ، ولكنهم راوها (أتاوة) تعتبر علامة خضوع واذعان !!

ولكن الكاتب يمضى فى الحديث عن اتباع الدين الجديد : « ... اما الكثرة الغالبة فكانوا من صغار الملاك او المعدمين او العبيد ، حتى ان المكيين كانوا يسخرون من النبى حين يجتمع بالموالى والعبيد والفقراء والمعدمين فيعظهم بالاسلام ويصلى بهم ، لان احدا من كبار القوم لم يدخل فى هذا الدين ، ولو ان الدين كان على صواب – فى رايهم – لآمن به كبارهم وسادتهم . وهذا منطق سطحى ، ولكنه يدل على عمق احساس كبار الماليين واصحاب السلطة بمناواة الاسلام لهم وتهديد مصالحهم .. ولقد كان النبى كصاحب دعوة يريد لها الانتشار يلجأ الى رؤساء القبائل والشخصيات ذوات الخطر ليقنعها بالاسلام ، حتى ان الاعمى ابن ام مكتوم حين جاءه يستفسر عن الاسلام وهو يحاول اقناع الوليد بن المغيرة بالاسلام أشاح عنه .. » (ص٤١ع٤٦) فكيف يقف زعيم (اليسار) هذا الموقف ؟؟

ان الكاتب يمضى فى الشرح والتحليل «فالاسلام فى حاجة الى التأييد القوى وليس فى حاجة الى

تأييد الضعفاء . الا ان هذا الموقف كان مخطئا ، فالدين الجديد يحمل بذور الثورة الاجتماعية ، ورجاله الحقيقيون هم هؤلاء الضعفاء ، ولذلك سرعان مانزل القرآن يعتب على النبى هذا الموقف وينبهه الى مافيه من خطأ .. وينتبه النبى عليه الصلاة والسلام الى هذا الموقف ، حتى يصبح صحابته المقربون هم صهيب وبلال وياسر وعمار وسلمان وأبو ذر وغيرهم من العبيد والضعفاء ، الذين كانوا يكونون بطانته الحقيقية والذين يعتبرون من اقوى واصلب جنود الاسلام .. الواقع ان العبيد والمستضعفين كانوا يعرفون ان الاسلام كثورة اجتماعية هو ثورتهم ، ولذلك انضووا تحت لوائه ، وابلوا فى سبيله احسن البلاء ، وكانوا خاصة النبى وموضع ثقته من بين هذه الطبقات .اما كبار الاثرياء ممن دخلوا فى الاسلام ، فقد ضمهم اليهم نزوع طيب فيهم ، الى جانب تأثير شخصية النبى عليهم بحكم الصداقة وادراكهم الموضوعى لصدقه فيما يدعو اليه ، ولكنهم برغم هذا كله محملون بآراء اجتماعية لم يستطيعوا التخلص منها رغم الاسلام» ص ٤١ – ٢ ع٤٦) .

ولست ادرى : ماهو هذا (النزوع الطيب) من الاثرياء فى ميزان التفسير المادى للتاريخ ؟؟

وماهى هذه (الآراء الاجتماعية) التى كان يحملها هؤلاء الاثرياء مما يتناقض مع الاسلام ؟؟

ثم الم يكن ابو بكر مثلا – التاجر الثرى – مقربا الى الرسول عليه الصلاة والسلام وهو الذى قال فيه (لو كنت متخذا من العباد خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا) !!

ومع ان محمدا كان – عند الكاتب – زعيم اليسار ، ومع أنه قد (تنبه) الى أن رجاله الحقيقيين هم الضعفاء – كما يقول الكاتب – ، الا انه حين انتصر وفتح مكة « اراد ان يؤلف قلوب القرشيين ويحضهم على دخول الاسلام ، آملا فى ان التعاليم الاسلامية سوف تؤثر فى قلوبهم وسوف تشدهم الى الايمان الحقيقى ؛ ولذلك ترك خصومه وامن ابا سفيان على حياته .. لقد كانت الدعوة اكبر من خصومة ابى سفيان ، واكبر من خصومه اى فرد او جماعة داخل الامة الاسلامية الجديدة . وكانت الطليعة التى تعمل الى جانب النبى من القوة والايمان والثورية بحيث لا تستطيع اى داخلية رجعية أن تزحزحها عن مكانها او تفسد دعوة الاسلام فى جانبها الاجتماعى ». (ص ٤١ – ٢ع ٤٦).

وكما اراد اليسار ان يهادن اليمين – فى تصور الكاتب – اراد اليمين أن يهادن اليسار « واستسلم عتاة رجال المال والطامعون فى السلطة للقوة الجديدة **ورأوا ان التسلل الى السلطة هو الطريق الاصوب والاسهل** ، فوجدنا معاوية يتقرب من الرسول ، وغيره كثيرون من امية ، ومن القبائل والاسر التي حاربت النبى والاسلام حربا شعواء ». (ص ٤٣ع ٤٦).

ونجح معاوية بالطبع فى تقربه من الرسول ، فالتاريخ يروى انه قد اتخذه كاتبا له !! (١).

والكاتب يقول « وقبل النبى اسلامهم بل مضى فى مجاملتهم الى حد بعيد ، حتى يؤلف قلوبهم ويكتسبهم ظاهرا وباطنا للاسلام . ولسنا نريد ان نذهب مذهب غلاة الشيعة فنزعم ان اسلام هؤلاء جميعا كان مدخولا ، وانه كان وسيلة انتهازية ليركبوا الموجة التى وقفوا ضدها ، فليس هناك شك فى ان الاسلام قد هيمن على الجميع ..» ومع هذا التحفظ المشكور الذى تحفظه الكاتب فقد اعقب ذلك مباشرة بقوله : « وقد اعتبرت القوى الرجعية فى قريش ان نجاح الدعوة فى الجزيرة العربية كلها واحتمالات امتدادها الى ابعد من ذلك فرصة مواتية لطموحهم ، وهكذا انخرطوا فى الدين الجديد بكل ثقلهم ، مكتفين من الاسلام بعباداته ، وربما فهموا الدين من هذا الجانب وحده ، وخاضوا المعارك واستبسلوا فيها، واصبحت لهم قوة يحسب حسابها ...» (ص ٤٣ ع ٤٦).

واذن فقد نجح (التكتيك) المرسوم ... وانتهى (التسلل) بالوصول !!

واريد ان اسأل الكاتب لماذا مضى (زعيم اليسار) فى مجاملة الخصوم الى هذا (الحد البعيد) !! تراه لم يكن قد تنبه بعد – وغزوة الفتح كانت قبل وفاته بعامين ، الى ان (رجاله الحقيقيين هم الضعفاء)!

والقرآن يخاطب محمدا : « فلا تطع المكذبين ، ودوا لو تدهن فيدهنون» !

ـ كما اريد ان اسأل الكاتب : كيف كان هؤلاء الداخلون في الاسلام «مكتفين من الاسلام بعباداته»؟؟ .. وكيف كانوا يتنكرون لما نزل من تشريع القرآن؟!

وهل التفسير يخلق (الواقعة) التاريخية .. ام ان (الواقعة) هي التي توحي بما يدعمها من تفسير!

لقد كان الاسلام (دعوة) تعرض نفسها على كل (انسان) .. من يمين ويسار فاذا ملكت الانسان من الاعماق ، فهي تستفيد من كل الطاقات .. وتتدافع التيارات بين أهواء النفس في داخل الفرد، وتتدافع التيارات بين مختلف الفئات في احشاء المجتمع ، ولا يطرد احد من رحمة الله التي وسعت كل شيء ، وينتهي التدافع الى التكامل والتكافل بهدى رب العالمين !

« ... وان تبتم فلكم رءوس اموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون ».

«... فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل ، واقسطوا ، ان الله يحب المقسطين »!

ان بداية (التسلل) المزعوم ترجع الى **عهد الرسول** نفسه ، وما كان الرسول غافلا عن حقائق الامور!!

جعل الرسول عمرو بن سعيد بن العاص بن امية على تيماء وخيبر وتبوك وفدك، وبعث عمرو بن العاص الى تخوم الشام حيث ينزل أقوام من اقربائه : بلى وعذرة في ارض جذام ، اذ كانت ام العاص بن وائل امرأة من بلى ..

وولى ابو بكر وعمر قادة في جيوش فتوح الشام من بني اميه ، وابلى يزيد بن ابي سفيان واخوه معاويه بلاء حسنا وقيل «ما فتحت كورة من كور الشام الا وجد عندها رجل من بني سعيد ابن العاص ميتا » .

وقد حظي الأمويون عند عمر بمكانة خاصة، فلقد سأله شرحبيل بن حسنة في زيارته للشام سنة ١٧هـ حين عزله وولى معاوية بدله » أعن سخطة عزلتني يا امير المؤمنين ؟ فاجاب : لا ، انكما لكما أحب ، ولكني اريد رجلا اقوى من رجل» وعند وفاة عمر كان معاوية يتولى الاردن ودمشق ولقد انكر عليه عمر موكبه فقال له « انا في بلاد لا نمتنع فيها من جواسيس العدو ولابد لهم مما يرهبهم من هيبة السلطان ، فان امرتني بذلك اقمت عليه وان نهيتني عنه انتهيت » وروى ان عمر اجاب «لئن كان الذي تقول حقا فانه رأي اريب ، وان كان باطلا فانها خدعة اديب ، وما آمرك ولا انهاك عنه » كما روى انه حين اثنى احدهم على معاوية لحسن رده قال: « من أجل ذلك جشمناه ما جشمناه » !

وهكذا تتابع على استعمال بني امية : رسول الاسلام نفسه ـ وهو زعيم اليسار عند الاستاذ عباس صالح ، وابو بكر ، وعمر الذي يعده الكاتب اقرب الى اليسار !!

والمقريزي نفسه ـ على نزعته الهاشمية الواضحة ـ يقول « فانظر كيف لم يكن في عمال رسول الله ولا في عمال ابي بكر وعمر احد من بني هاشم فهذا وشبيهه هو الذي حد انياب بني امية وفتح ابوابهم واترع كأسهم وفتل امراسهم»!

فهل غفل الرسول ، ومن بعده ابو بكر وعمر ، عن هذا التسلل الخبيث ؟؟

ام انهم افادوا من تلك الطاقات والخبرات ، واطلقوها لتعمل في مجال الاسلام الذي يتفسح لكل الجهود البناءة ، ولا يؤيد الخصومات ويعمق العداوات بدعوى الصراع المحتوم !

لقد اشتهر بقيادة قوافل قريش الى الشام قبيل الاسلام ابن جعدان وابو احيحة وابو سفيان وغالبيتهم من البيت الاموي : ويروى ان عثمان ابن عفان سفر لدى عمال الروم في بصرى ، ويروى البلاذري «انه كانت لابي سفيان بن حرب ايام تجارته الى الشام في الجاهلية ضيعة بالبلقاء تدعى بقبش فصارت لمعاوية وولده ..» وهكذا لم يكن غريبا في فتوح الشام ان ينزل يزيد بن ابي سفيان البلقاء ويبلي هو واخوه معاوية احسن البلاء بل اننا نجد ابا سفيان الشيخ العجوز يسهم ونساء الامويين يسهمن أيضا في هذه الفتوح ...

للبحث بقية

فتحي عثمان

نعم.. إسرائيليات

بقلم : محمد جلال كشك

عندما نقول نحن العرب ، عن تفاسير وأساطير انها اسرائيليات ٠٠ فاننا نعنى بذلك انها أباطيل مغشوشة وروايات مدسوسة ٠٠ تشوه جلال التعاليم الدينية وتنسب للأنبياء والرسل ، بل حتى لله سبحانه وتعالى ، ما لا يليق نسبته للناس الطيبين فضلا عن المعصومين ٠

ومن قبيل هذه الاسرائيليات ، وتحت عنوان : « **اسرائيليات** » هذا التعليق الذى أورده الأستاذ « **سعد كامل** » فى صحيفة أخبار اليوم ٠

فقد انتزع سطرين من كتاب عدد صفحاته ٢٥٧ صحيفة ٠٠

وهو كتاب الأستاذ أحمد بهاء الدين ، الذى تناول فيه العدوان الصهيونى ، وأبعاد التحدى الاسرائيلى فى دراسة شاملة لعدد من المؤلفات ٠

الا أن الأستاذ سعد كامل قد أمسك فى لهفة بحكاية التفرقة بين اليهود والصهيونية ، وراح يؤنبنا ويقرعنا متهمنا ـ لماذا وكيف ؟ لست أدرى ـ بأن كتابنا لم يفرقوا ٠٠ بل « كانت مشكلة اسرائيل مرتعا خصبا لحماس بعض كتابنا » ٠٠

وفى خضم هذه الموجات الاثارية ، خلطوا موقفنا من الصهيونية ، باليهودية ٠٠ ودولة اسرائيل ٠ وقد جاء هذا الغموض الفكرى تارة من باب الاستسهال أو الكسل الفكرى ، وتارة نوعا من الانتهازية وكسبا للعواطف الرخيصة ، وهذا (التشويش) الفكرى يضر بمصالحنا القومية وقيمنا الاشتراكية فى الداخل لأنه يغرس فى نفوس الجماهير أفكارا خاطئة يصعب تغييرها ، وفى الخارج لأن أعداءنا يستخدمونه لتشويه أفكارنا ومبادئنا الاشتراكية ٠

وقد قرر بهاء (وقع الكلفة من جانب الأستاذ سعد كامل) فى كتابه بصراحة ـ اننا ضد الصهيونية ولكننا لسنا ضد اليهود ٠٠

القضايا التى يثيرها الأستاذ « **سعد كامل** » هى ان مشكلة اسرائيل كانت مرتعا خصبا لحماس بعض كتابنا وقد عمد هؤلاء اما كسلا واما انتهازية للخلط بين الصهيونية واسرائيل وبين اليهود ٠٠ أى داعين لكراهية الجميع ومحاربة الكل ٠٠ الأمر الذى لايرضى الناقد الذى لا يخضع للحماس ٠٠ بل يفسره على انه كسب للعواطف الرخيصة ، وتشويش ٠٠ مما يغرس فى نفوس الجماهير أفكارا خاطئة (وهى كراهية اليهود) يصعب تغييرها !

هذه هى القضية التى يثيرها :

واذا التزمنا سوء الظن الماركسى ٠٠ لقلنا ان هذه الألفاظ « **الحماس** » ٠٠٠ « كسب العواطف الرخيصة » « الفرق بين اليهود واسرائيل » قد سمعناها حديثا جدا ٠٠ من مؤتمر صحفى فى بيروت ! ٠

ولو تمادينا مع سوء الظن الماركسى ٠٠ لافترضنا وجود مخطط ينطق أفواها فى وقت واحد ٠٠ بدأت بحديث عن اتحاد العرب واسرائيل فى مجلة تونسية ٠٠ ثم بمؤتمر صحفى يدعو فيه سى الحبيب ٠٠ الى التآخى بين العرب واسرائيل ثم يصحح الى التآخى بين العرب واليهود ٠٠ وأخيرا يؤنبنا كاتب فى صحيفة أخبار اليوم على حماس كتابنا ويقرعهم على الخلط فى عداوتهم بين اليهود واسرائيل ٠

الا أننا سنتسلح بحسن النية ، لأنها صفة المؤمن ٠٠

ونقول ان تلك القضية تنبعث من جهل قديم وتحجر عند موقف عفى عليه الدهر وسحقته

الأحداث ، ولم يعد يستحق أن يناقش فضلا عن أن تثار حوله كل هذه الغضبة ٠٠ وهى حكاية الفرق بين اليهودى والصهيونى ٠٠ وسنقول مع افتراض حسن النية ، انها أيضا محاولة خجولة للنيل من مقال موجع ٠٠ أشار الى نشأة الحركة الشيوعية فى مصر على يد اليهود !

ولنبدأ بالفكرة المتحجرة :

تلك التى تعد اثارتها هى « التشويش » عينه ٠٠ لأن العرب لا يعرفون التعصب أصلا ، والأصل فى العربى المسلم أن يؤمن بنبوة موسى ، فالعصبية العمياء ليس لها جذور دينية ، والعرب ساميون ، فلا يمكن أن تقوم بينهم حركة لا سامية ، واذا كان ثمة نقد يوجه لنا ، فهو فرط تسامحنا ، الا أننا لا نملك أن نكون الا كذلك ٠٠ فهذه هى روح حضارتنا ، وطبيعة رسالتنا ٠٠

ورغم التحدى الصهيونى ، والجرائم الاسرائيلية البشعة وخيانات اليهود العرب ، وموالاة عدد كبير منهم لاسرائيل على حساب الأوطان التى عاشوا فيها ٠٠ رغم ذلك ورغم حالة الحرب الدائمة مع اسرائيل، فاننا نتحدى اسرائيل وأبواق الصهيونية بل وكاتب أخبار اليوم أن يذكر لنا حادثة واحدة من المحيط الى الخليج ٠٠ تغلبت فيها العواطف الرخيصة واضطهدنا يهوديا ٠٠ لأنه يهودى ٠

وخلال الحرب العالمية الثانية اعتقلت أمريكا كل اليابانيين بل والأمريكيين من أصل يابانى ٠٠ ونفس الشىء فعلته روسيا مع الألمان رغم كل ما كتب عن الفرق بين الحرب ضد الاحتكارية الألمانية ، والأخوة مع الشعب الألمانى ٠٠ لأن الحرب هى الحرب ٠٠ ومع ذلك فلم يحدث فى بلد عربى أن اعتقل كل اليهود حتى واسرائيل ترتكب أبشع عدوان وأخس تآمر ٠

اذن فلماذا هذا الحديث ؟ ٠٠ ولمن يوجه هذا الكلام ؟! ومنذ متى كتب الأستاذ « **سعد كامل** » عن اضطهاد العرب فى اسرائيل ؟

وهى أيضا حكاية قديمة :

يا ليت كاتب أخبار اليوم تابع تقليب كتاب الأستاذ بهاء بدلا من أن تغمره الفرحة للتفرقة بصراحة بين اليهودى والصهيونى ٠٠ لو انه تابع تقليب الكتاب ، لوجد ان اثارة الضجيج حول هذه التفرقة لا يساوى شيئا ٠٠ لأن اسرائيل للأسف ، قد استطاعت أن تربط بين يهود العالم وبينها كدولة رباطا لايمكن تجاهله ، ومن الخطأ الفادح التهوين من شأنه ٠٠ فضلا عن نفيه ، ولم تنجح اسرائيل أبدا بسبب « **العواطف الرخيصة** » عند العرب ، بل بسبب هذه العواطف الموجودة فى الدين اليهودى ، وأيضا العواطف الرخيصة فى الحضارة الأوربية التى اضطهدت اليهود ٠٠ الا أنها لم تعد الآن قضية اضطهاد اليهود ٠٠ لأن يهود أمريكا وهم أشد غلاة الصهيونية لايخشون اضطهادا ٠٠ ولايمكن الزعم بأن « **أنا بوكر** » الزعيمة الشيوعية كانت تخشى اضطهادا فى دولة شيوعية ، عندما هربت شقيقها وأباها الى اسرائيل .. وإليا اهرنبورغ هل يؤيد اسرائيل لأنه مضطهد ٠٠ فالمشكلة الآن لم تعد ارتباط اليهود باسرائيل ٠٠ هذه مرحلة سابقة على ١٩٤٨ ٠٠ المشكلة الآن ، وأعنى عند زعماء الصهيونية — هى درجة هذا الارتباط ، وهل يستمر اليهودى فى البلد الذى يعيش فيه ويكتفى بمساعدة اسرائيل بالمال والسلاح والتجسس واستغلال النفوذ ٠٠ أم يحمل حقائبه ويعود لاسرائيل ؟!

جاء فى كتاب الأستاذ بهاء ٠٠ على لسان جولدا مايير ، جميل جدا أن يعطينا اليهود فى الغرب تأييدهم وحماسهم وأموالهم ٠ ولكن هذا لا يكفى ٠ هذه المشاركة من بعيد لا تكفى ٠ فمن بعيد لايمكن أن تتم زراعة النقب ! اننى كلما سمعت أغانى اسرائيل يرددها اليهود فى نيويورك ولوس انجليس وشيكاغو ، رقص قلبى طربا ! ٠٠ ولكن ترديد الأغانى عن النقب فى نيويورك أو بوسطن لا يعمر النقب » !

ويقول الأستاذ بهاء « كثير من المفكرين اليهود لا يقبلون القول بأن دولة اسرائيل هى المكان الطبيعى لكل اليهود ٠٠ بل كانوا يعارضون قيام دولة اسرائيل نفسها ٠٠ ولكن هذه الأصوات ضاعت أو اختفت تحت تأثير انتصار فكرة قيام الدولة سنة ١٩٤٨ » ٠

وعلى لسان المؤرخ الانجليزى الجنسية واليهودى رسميا « سيسيل روث » يورد الأستاذ بهاء : « ان هؤلاء اليهود الذين عارضوا قيام دولة اسرائيل يتمنون الآن نجاحها ولا شك ، بعد أن قامت بالفعل ٠٠ ثم انهم يعرفون أن فشلها سيكون ضربة معنوية هائلة لليهود فى كل مكان من العالم ٠ ولكنهم مع ذلك قلقون ٠٠ فهم يرون ان اليهود فى كل دولة

أصبحوا لا يشاركون فى أى مسالة تهم البلاد التى يحملون جنسيتها ٠٠ الا اذا كانت هـذه المسالة تتصل باسرائيل » ٠

المؤرخ **اليهودى** لم يستثن ٠٠ بل قال « اليهود فى كل دولة » ٠ **فلماذا يكون بعضهم ملكيا اكثر من الملك ٠**

وبدلا من التعسف فى تفسير آراء الأستاذ أحمد بهاء الدين ٠٠ ما الذى كان يضير كاتب « أخبار اليوم » لو أنه وصل الى صفحة ٢١٥ حيث يقول الأستاذ بهاء « شىء هام يلوح فى كل سطور القصة (خطف ايخمان) ٠٠ ولا يمكن تصورها بغيره هو : العدد الهائل من العملاء الذين يساعدون مخابرات اسرائيل ويعملون لها ٠٠ كلهم يهود مواطنون فى بلاد أخرى ٠٠ يظهرون الولاء للبلاد التى تطعمهم وتؤويهم ٠٠ ولا يبطنون الا الولاء لاسرائيل » !

كنا نود لو أن كاتب « أخبار اليوم » قد ضرب أمثلة على حماس بعض كتابنا ، الذى لا يرضيه ، والعواطف الرخيصة التى أشار اليها ، لأن هـذا التعميم يحمل اتهاما عاما لا يليق « وتشـويشا » لا يقبل ٠

وكنا نود لو ضرب لنا أمثلة عن بعض اليهود الذين وقفوا فى صف أوطانهم العربية ٠٠ من ؟ ٠٠ **هنرى كوريل** زعيم « حدتو » المنحلة ٠٠ أم **ايلى شوارتز** ؟! أين هم الآن ؟ وكم ارتـكبوا فى حق الشعب العربى ؟

لقد نصحت الأهرام ، المتحدث فى بيروت ، بأن يغير مستشـاره الانجليزى ٠٠ ونحن ننصح بعض الماركسيين بتغيير مستشاريهم من اليهود واليهوديات ٠٠ أو يتخلصوا من بقايا مشورتهن ٠

ونصيحة خاصة لكاتب « **أخبار اليوم** » ان كان حقا يريد أن يستمر هناك الى أن تصل طوابقها الى السبعين ٠٠ فليفهم ان اسرائيل ليست « مشكلة » كما يصفها يجوز فيها أى كلام ٠٠ لا ٠٠ اسرائيـل ليست مشكلة ـ فما أدق هذا الوصف ـ اسرائيـل كما وصفها الأستاذ بهاء هى « التحدى الحضارى » للعرب ٠

وفى التحديات الحضارية ٠٠ حضارة واحدة هى التى تبقى ٠٠ تلك التى تعرف كيف تكره ٠٠ وكيف تسلح كراهيتها بالعلم والفولاذ ٠٠

« محمد جلال كشك »

بقية المنشور على صحيفة «٧»

مكينا ، بما اكتسب من ثقافة الشرق والغرب ، وبما اطلع عليه من الأدب العربى والآداب الاجنبية عامة ، فهو بتكوينه الفكرى كفء لتناول موضوعه فى القالب والاسلوب الذى يعد به من الاعمال الادبية الممتازة ٠ وهذا فوق ما أوتى من ملكة طيعة ، وقدرة باهرة ، فى تزويده للموضوع الذى يتناوله بالخواطر والاوصاف والتعبيرات التى تفيض عليه الحيوية ، وتبث فيـه الحرارة ، وتشيع فيه نورانية الفن الرفيع ٠

واذا شئت أن تقصر معنى الفصاحة على اللفظ فان «لبيرم» من الشعر العربى الفصيح لفظه ما يشهد له بالاصالة والاجادة ٠٠ بيد أنى أريد أن يتسـع نطاق مدلول الفصاحة فى أدب «بيرم» لكى يستوعب صلة أديبنا الكبير بالفصحى ، أعنى باللغة نفسها ، لانى مجرد لفظها ، بل فيما أثر عنهـا من أدب ، وبخاصة الشعر ٠ وهنا نستطيع القول بأن «بيرم» ، حتى فى أزجاله العامية العميقة ، كان يستوحى هذا الادب العربى الصميم ، ويتأثره فى بلاغاته واساليبه .

انت اذا قصصت اثر «بيرم» فى اخيلتـه ومعانيه وفى صوره التعبيرية ، تجلت لك بلاغة الأدب العربى وخصائص الشعر العربى أحسن ماتتجلى ٠ فقد كان فى بيانه وفيما يحلى به أسلوبه من اسـتعارات وتشابيه ، ومن مجـازات مختلفة الألوان ، ومن استخدام للفن البديعى كالتورية والجناس ـ أديبا عربيا بليغا كما يكون الاديب العربى البليغ فى أوج اقتداره وافتنانه ٠ وانك لواجد مصداق ذلك أيضا فى تمرس « بيرم » بمعارضته القصائد العربيـة المشهورات ، وفيمـا تتفطن اليه حين تقرأ بعض قصائده وأزجاله من نزوعه الى محاكاة أنماط متوارثة فى أبيات من الشعر العربى الرصين ، يجرى بعضها مجرى الامثال ٠

واخيرا ، بل أولا ٠٠ أحيى الأديب « **عبد الفتاح غبن** » ، وفى مقدمة ما يحدونى الى هذه التحية روح الوفاء الذى أملى عليه اخراج هذه الرسالة الطريفة ٠ وارجو أن يتاح له فى طبعتها المقبلة تنمية ما حوت من شوارد الاحاديث والآثار ٠

« محمود تيمور »

نماذج بشرية

هل هو من تأليف الدكتور مندور ؟

بقلم
عبد المطلب صالح

للدكتور محمد مندور ايادٍ بيض على الادب العربي فمازال منذ عودته من باريس سنة ١٩٣٩ يمد المكتبة العربية بنتاج ذهنه الخصب المثقف ثقافة اوربية حديثة ، ومازلنا نعيد قراءة مقالاته العميقة الاولى التى نشرها فى مجلة الثقافة حينذاك واحتواها بعد ذلك كتابه (فى الميزان الجديد) •

ولقد غنم الادب العربى الحديث عدة كتب ترجمها الدكتور محمد مندور عن الادب الفرنسى مثل : من الحكيم القديم الى المواطن الحديث لطائفة من المفكرين ومنهج البحث فى الادب واللغة لماييه وغوستاف لانسون ، واعلان حقوق الانسان لبابيه ، ودفاع عن الادب لجورج دوهامل •

ولقد افاد من هؤلاء المؤلفين الذين ترجم عنهم منهجا فى البحث وخطة فى العمل ، ولنا فى الاديبين (جورج دوهامل) و (غوستاف لانسون) خير مثالين على التأثير الذى خلفه الادب الفرنسى فى كتابات الدكتور محمد مندور • لقد استفاد الدكتور مندور من (لانسون) روح العلم وصبر الباحث والاعتماد على فهم النصوص الادبية فهما داخليا مما يتضمنه المنهج التاريخى الذى اعتمده (لانسون) فى كتابه الكبير « تاريخ الادب الفرنسى » وكتاباته الاخرى عن كورنى ، وعن النثر الفرنسى وتاريخ المسرح الفرنسى •

وخير مصداق على ما نقول المقدمة البارعة التى صدر بها الدكتور مندور (منهج البحث فى الادب واللغة) ، وخطة البحث الممتازة التى وضعها اساسا لكتاب (النقد المنهجى عند العرب) • تلك هى روح العلم وخلاصة البحث الدائب بين الوف الجذاذات التى لا تعتبر لذاتها كما يقول (لانسون) ولكنها الوسيلة الى غاية ابعد ، انها النبراس الذى يهدينا الى معرفة الحقيقة ، وبهـا وحدها نتلمس طـريقنا ونتهجس دربنا لنثبت فى ميدان البحث الادبى شيئا جديدا يساعد العلم على المضى نحو المستقبل •

والى جانب (غوستاف لانسون) و (جورج دوهامل) نذكر اديبا فرنسيا آخر اسهم فى نشأة الدكتور محمدمندور الادبية هوالاستاذ **(جان كالفيه)** مؤلف (تاريخ الادب الفرنسى) وكتاب (النماذج العالمية فى الادب الفرنسى والأجنبى) الـذى طبع فى باريس مرات عـديدة وظهر فى ثلاثة اجزاء جزءان منها يحتويان على نماذج الادب الفرنسىوالجزء الثالث يحتوى على نماذج الادب الانكليزى والايطالى وغيرها •

والاستاذ (جان كالفيه) اقل حظا من زميليـه (لانسون) و (دوهامل) اللذين يشير اليهمـا الدكتور مندور فى تضاعيف كتاباته بل ينـادى باسميهما • اما (جان كالفيه) فقد كان نصيبه النسيان فقد اهمله الدكتور مندر وهو يعلم جيدا اليد التى اسداها اليه هذا الاديب الفرنسى فى تهيئة كتاب (نماذج بشرية) •

ان اهمال الدكتور مندور للاستاذ (جان كالفيه) لايعدله اهمال او جحود فى تاريخ الفكر البشـرى غير جحود الشاعر الايطالى العظيم (دانتى) حينما

القى باستاذه (برنتو لاتيني) في مقر الجحيم في (الكوميديا الالهية) جاحدا ما اداه اليه هذا الاستاذ العلامة في حياته من دروس وارشادات !

(انظر : الاستاذ اندريه بللسور في : دراسات جديدة وصور اخرى ص ٤٥ ، سنة ١٩٢٣) .

ان كل المثقفين المطلعين على حركة الادب العربي الحديث يعلمون جيدا ان الدكتور محمد مندور قد « الف » كتابا اسمه (نماذج بشرية) قبل حوالى عشرين عاما وقد جمع الكتاب بين دفتيه نماذج ادبية مشهورة مثل : جفروش النموذج الذى خلقه الاديب الفرنسى الكبير (فكتور هوكو) في روايته «البؤساء» وفيجارو الذى خلقه اديب الثورة الفرنسية (بومارشيه) وغير ذلك .

يقول الدكتور مندور في الاهداء الذى صدر به (نماذج بشرية) ما يلى :

« اعتدت ان املى على زوجتى ما اكتب او اقرؤه عليها بعد الفراغ منه .. وانا شديد الثقة بذوقها الادبى .. ولقد كان هذا الذوق دائما خير عون لى على الرجوع عما قد تسوقنى اليه حرارة القلم عندما يتملكنى الموضوع فاندفع فى اعقابه » .

(انظر : الدكتور محمد مندور ، نماذج بشرية ص ٥ الطبعة الثالثة ، دار المعرفة ١٩٦١) .

ان الدكتور مندور يوحى في اهدائه السابق : انه املى على زوجته كتاب (نماذج بشرية) من جملة ماكان يمليه عليها من كتابات وان هذا الكتاب هو من صناعته الخاصة ، ولقد القى بهذا الانطباع بين جمهور القراء حتى ان دار المعرفة تعتقد ان كتاب « نماذج بشرية » ، قد كتبه الدكتور مندور في فورة الحماسة الاولى .. وحلل فيه شخصيات الادب العالمى » .

لقد كنا نحن كذلك نعتقد هذا الاعتقاد ونشعر ذلك الشعور الى ان ذهبنا الى باريس قبل عدة سنوات لتحصيل دكتوراه الدولة في الادب المقارن من السربون التى اوشكنا على انهاء اطروحتها فماذا حصل ؟ حصل ان وجدنا في احدى مكتبات باريس كتاب الاستاذ (جان كالفيه) وهو (النماذج العالمية في الادب الفرنسى والاجنبى) وقرأنا هذا الكتاب ثم انتهينا الى هذه النتيجة: ان الدكتور محمد مندور سرق مجهود الاستاذ (جان كالفيه) وان كتاب « نماذج بشرية » ، هو نفسه كتاب « النماذج العالمية في الادب الفرنسى والاجنبى » مترجم عنه ترجمة دقيقة مع قليل من الحذف والاضافات اليسيرة ، مثل نموذج (ابراهيم الكاتب) للاستاذ ابراهيم عبدالقادر المازنى ، الذى اضافه (مندور) على صلب الكتاب.

اما كان بوسع الدكتور مندور ان يترجم كتاب (جان كالفيه) من دون ان يدعيه لنفسه ؟ .

ولو فرضنا ان الدكتور مندور قد استوحى عنوان كتاب (جان كالفيه) اما كان الاجدر به ان يشير اليه مثلما فعل الدكتور طه حسين حينما اشار الى كتاب الناقد الفرنسى (جـول ليمتر) « على هامش الكتب » ، الذى اوحى اليه عنوان كتابه « على هامش السيرة » « انظر : طه حسين ، نزعات دينية في الادب المصرى الحديث في : الاسلام والغرب ص ٢٤٠ من منشورات كراريس الجنوب ١٩٤٧) .

ولكن الامر ، فضلا عن هذا ، يتجاوز العنوان الى محتوى الكتاب .

والطريقة التى اتبعها الدكتور مندور في اعداد كتاب « نماذج بشرية » هى انه يقدم للنموذج الادبى بنبذة تاريخية هى في الغالب تلخيص لتاريخ النموذج كما أورده « جان كالفيه » ، ثم يأتى الى النموذج نفسه ناقلا تحليل (جان كالفيه) أيضا بنصه . والغريب أن الدكتور مندور يعزز « شرحه للنموذج » بنصوص هى ذاتها التى اختارها المؤرخ الفرنسى (جان كالفيه) للتدليل على تحليل نموذجه .

وها نحن أولاء نورد بعض الامثلة مبتدئين بما جاء به « مندور »ثم نعقبه بالنص الفرنسى الذى ترجمناه ترجمة حرفية . ومن شاء الاستزادة فليرجع الى كتاب (النماذج العالمية في الادب الفرنسى والاجنبى للاستاذ (جان كالفيه) وقد طبع في باريس عدة مرات ونشره (لانور) وآخر طبعة لهذا الكتاب كانت في سنة ١٩٦٣ ــ ١٩٦٤ .

ولنبدا بنموذج « السست » لموليير .

يقول (مندور) : « السست فى الخامسة والعشرين من عمره عندما تبدأ مأساة حياته . دلف الى الوجود بضمير نقى صلب . وقد وطد النفس على مطاردة الكذب انى كان ، وعلى الجهر بالحق فى كل مجال . ولم يغب عنه ان الكذب ملأ الآفاق وان مهاجمته تتطلب جهدا لاينقضى » (انظر : نماذج بشرية ص ١٣٢ ، دار المعرفة ١٩٦١) .

ويقول (جان كالفيه) : « السست فى الخامسة والعشرين من عمره ، انه شخص نبيل دخل الحياة بضمير طيب نقى صلب ، وقد صمم على ملاحقة الكذب بكل اشكاله وان يقول الحق دائما ، وقد لاحظ ان الكذب قد ملأ الدنيا ، وان كشفه يتطلب جهدا لا ينتهى » .

(انظر : جان كالفيه ، النماذج العالمية فى الادب الفرنسى ج ٢ ص ٢٣ ، لانور ١٩٦٤) .

ويقول الدكتور مندور فى نموذج « فيجارو » :

« هاهو حلاق اشبيلية يقفز الى المسرح وكأنما يعلو منبرا ، وها نحن نراه أول ما يبدو فى احد شوارع اشبيلية وقد علق فى ظهره قيثارته بشريط من الحرير ، وهاهو يوهم نفسه انه قادر على كتابة اغنية يشيد فيها بالخمر والكسل اللذين يقتسمان قلبه » . (انظر : نماذج بشرية ص ٤٦ دار المعرفة الطبعة الثالثة ١٩٦١)

ويقول الاستاذ (جان كالفيه) فى النموذج نفسه :

« يمثل لنا فيجارو فى احد شوارع اشبيلية وقد علق بشريط كبير قيثارة على ظهره . ويسره أن يكتب اغنية عن الخمر والكسل اللذين يقتسمان قلبه » . (انظر : جان كالفيه ، النماذج العالمية فى الادب الفرنسى ج ا ص ١٢١ ، لانور ١٩٦٣) .

والاولى لنا يا دكتور مندور أن تتدبر الطريق الى تسلك فان طريق الفكر والثقافة الحقيقية وعر تغمره العقبات مثلما بين (جورج دوهامل) ، ومعرفة النفس لاتأتى الابعد الجهد العنيف والصبر المتواصل، ان للفكر قدسيته ومامن أحد يستطيع الولوج من بابه سوى رجاله المخلصين الذين آمنوا حقا بتلك القدسية .

بغداد « عبد المطلب صالح »

« بقية المنشور على صفحة ٩ »

واذا كانت النفس العربية قد انتصرت على قاهر اوربا ومحطم تيجانها ، واذا كانت ثورة عرابى قد انتهت بالاحتلال البريطانى ، واذا انتهت ثورتنا عام ١٩١٩ بخديعة الشعب حين منحته قوة الاحتلال سلطات وهمية يخطط لها ، قصر الدوبارة » ، ويشرف على تنفيذها سلطان ثم ملك لا يملكان من امرهما شيئا ، ثم تصدر القرارات باسم الأمةممثلة فى مجلسيه ـ النوابوالشيوخ ـ وهما يضمان اعضاء لم تنس بعد حظهم من الوعى الوطنىوالتثقيف المخجل ..! ، فان كل هذا الاخفاق فى المجال الوطنى لم يستطع ان يعبث بمشاعر الشعب الدفينة ، او يرقى الى التخفيف من حدة الطموح الى الحرية والاستقلال الكامل فى النفس المصرية التى فطرت على الصمت الواعى ، والذكاء الأصيل .

واذن ، فان ما ابتناه عن اليقظة الشعورية فى النفس العربية ليس منقبيل : التمهيد لموضوعنا الذى نحن بصدده ، وليسكذلك من قبيل : المقدمات التى تسبق الموضوعات غالبا ، وانما هو من صميم ما تساءلنا عنه فى عنوان هذا المقال ، لان الموهبة الشعرية تشحذها التيارات النفسية فى المجتمع ، ويصقلها الطموح الى التحرر القومى الذى يحقق للشاعر حريته الفردية ، تلك الحرية التى تصنع الشاعر الموهوب ، وتفجر فيه الالهام .

فالموهوبون والعباقرة من الشعراء والكتاب والخطباء يتصدرون الشعور العربى المناضل فى كل تلك الأطوار جميعا ، لان الأديب فى طبعه يشعر بحماسة شديدة تدفعه الى المشاركة الرائدة فى مثل هذه المعارك الوطنية . وينتهى به الحماس دائما الى انفعال عاطفى يفتق فى وجدانه براعم الفن ليقدم منها الى مجتمعه طاقات مختلفة من الألوان والعبير ، وذلك هو السبب الحقيقى الذى هيأ لنا ان نظفر فى دولة الشعر بمثل رائد النهضة الشعرية الحديثة محمود سامى البارودى وامير الشعراء احمد شوقى ، ثم نظفر كذلك فى فترة القلق الذى كان يجتاح مجتمعنا فى الربع الثانى من القرن العشرين بامثال الشاعر البائس عبد الحميد الديب ، والشاعر الوطنى الشابى ، والشاعر الموهوب التيجانى يوسف بشير .

لقد مضى هؤلاء العباقرة من شعراء العربية فى فترة من فترات ثورة النفس العربية فى مصر وتونس والسودان ، وتحركها نحو تحقيق آمالها التى طالما تنشدتها من حرية واستقلال .

اما وقد ظفرنا اليوم باقامة مجتمع متمائل تقريبا تسوده العدالة الاجتماعية ، وترفرف عليه الحرية السياسية والاقتصادية على نحو لم تشهده الامة العربية من قبل ، فمن حقنا عندئذ ان نتساءل : متى يظهر الشاعر الموهوب ؟ فقد طال انتظارنا لهذا الشاعر ، فهل يطول ذلك الانتظار ؟ والى متى ؟ ..

وحديثنا فى المقال القادم متصل بهذا الموضوع

« عبد الرحمن عثمان »



العقاد وموقفه في الدفاع عن الاسلام

بقلم: محمد عبدالله السمان

– ٣ –

قلت فى المقال السابق: ان منهج العقاد فى كتابه: « ما يقال عن الاسلام » يقوم على الايجابية ، الايجابية المتحفزة التى توافرت فيها المتابعة لكل ما ينشر عن الاسلام فى صحف الغرب ومؤلفات كتابه على الاخص ، والرد عليه ردا مقنعا مفحما .

اما هؤلاء الكتاب فهم كما يشير العقاد فى مقدمته – يتفاوتون فى قيمة الكتابة ، **ولكن** تفاوتهم على حسب البواعث والنيات اضعاف تفاوتهم على حسب الدراية والمعرفة، **لانهم** طوائف مختلفة لاتتفق فى الوجهة ولا فى الخلق ولا الاستعداد . فمنهم المبشرون الذين ينحرفون عن الصواب اضطرارا واختيارا ، بباعث من التعصب وباعث من حكم الصناعة او الحرفة، **ومنهم** اناس يخدمون السياسة الغالبة على دولهم ، **ومنهم** طلاب المعرفة من المستشرقين الذين نشاوا بمعزل عن دوائر التبشير ودوائر السياسة ، **وفيهم** من ينشد الراى خالصا لوجه الحقيقة العلمية، ولكنه مشوب بالقصور الذى لا مفر منه لمن يكتب عن الادب فى لغة غير لغته ، **ومنهم** أناس يتشيعون للاسلام بمقدار ثورتهم على سلطة الدين فى بلادهم ، ولا يندر فيهم من ينصف الاسلام ويهتدى الى محاسنه السمحة .

ويقسم العقاد هؤلاء الكتاب الى قسمين : مخلصين وغير مخلصين ، **والمخلصون فريقان** : طلاب المعرفة وطلاب العقيدة ، وهم زمرة الباحثين الذين داخلهم الشك فى عقائدهم التى ولدوا عليها ، وغلب عليهم الايمان بأن الشرق مصدر الاديان .

واما غير المخلصين ففرق كثيرة ؛ **المتعصبون** للغرب وطنيا او جنسيا ، **والماديون** الملحدون الذين يدعون الى هدم المجتمعات القائمة ويرون ان الاديان كافة عقبة تعترض الاصلاح الاجتماعى ، **وجماعة** المؤمنين المحترفين ، سماسرة التبشير، ثم **المفرضون** واخطرهم طائفتان تملكان من وسائل الدعاية ما ليس لطائفة اخرى ، **وهما** طائفة الصهيونية وطائفة الاستعمار .

* * *

لم يكن العقاد فى كتابه « ما يقال عن الاسلام مميزا وحسب – بالرد المقنع المفحم على الشبهات والمفتريات التى اثارها الكتاب الغربيون ، **ولكنه** تميز ايضا بالانصاف فى ادق مراتبه واسماها ، **فلم ينظر** – كما فعل ويفعل غيره – بمنظار اسود قاتم الى كل كتابات الغرب عن الاسلام ، فهو يعنى بالمنصفين عنايته بغير المنصفين من هؤلاء الكتاب ، بل التمس عذرا للقصور الذى شاب كتابات بعض المنصفين ، ولذلك بدأ كتابه بعرض لكتاباتهم ، كالكاتبة الالمانية فى كتابها **« الاسلام والعصر الحديث »** التى أقامت زهاء ثلاثين عاما فى بلاد الشرق الادنى والشرق الاوسط ، وتجنبت الاستخفاف فى كتاباتها ، هذا الاستخفاف الذى اشتهر به كتاب القرن التاسع عشر ، **ترفعا** منهم عن علاج موضوعات الاسلام على خطة المساواة بينها وبين موضوعات العقائد اوالمعارف التى تشيع بين الغربيين ، واعتزازا منهم بسيطرة الحاكم الذى يتحدث عن رعاياه ، **وتعصبا** منهم لعقيدة يؤمنون بحروفها ومعانيها كما يؤمنون ببطلان العقائد التى تخالفها . وهذه الكاتبة الالمانية **« الدكتورة السى ليختنستادتر »** تعرض لشئون الاسلام بما ينبغى من الادب والرعاية ، الا انها قلما تفهم حركات التجديد بفهمها للحقائق التى تدور عليها، وان كانت فى جملة آرائها تقوم فكرتها على اساس صحيح

يرتضيه المسلم ، وان لم يذهب مذهب الكاتبة فى تفصيل تلك الاراء والاشارة الى اغراضها ومقاصدها.

وكذلك الكاتب الامريكى **«سدنى فيشر»** استاذ التاريخ بجامعة «اهيو» الامريكية فى كتابه **«الشرق الاوسط فى العصر الاسلامى»** هذا الكاتب يدل اسلوبه فى عرض الاراء والوقائع على تورع عن العصبيه واجتناب التشهير ، **فهو** يروى مايفهمه من المتناقضات محاولا تجريدها من نزعات الاهواء ، ودسائس الاحقاد المذهبية والقومية .

والقس الامريكى **«اريك لنكولن»** فى كتابه : **«المسلمون السود فى امريكا»** — وهو من المنتمين الى الطائفه المسيحيه التى تعرف باسم **المنهجيين او الميثوديين** ، — دلت طرقته فى وصف حركة الدعوة الاسلاميه بين السود الامريكيين على عنايته بالصدق فى تحرى الوقائع والبحث عن مصادر الاخبار.

***

والعقاد يهدف من انصافه لهؤلاء الكتاب المنصفين الى غايتين :

اولاهما : الامانة العلمية .

واخراهما : انتزاع شهادة للاسلام من كتاب غربيين لا يقلون شانا عن غيرهم من بنى جنسهم ممن يحقدون على الاسلام ، وهذه الشهادة دليل قاطع على ان مطاعن الطاعنين على الاسلام مشوبة بالتعصب والهوى ، مريبة بالشهوة والغرض .

اما المنحرفون من كتاب الغرب ، فنرى العقاد يمسك بتلابيبهم ، ويضيق الخناق عليهم، فيتصدى للفرية التى تقول : « ان الاسلام نسخة مفضحة من اليهودية » او « نسخة مشوهة من اليهودية والمسيحية » ولم يبرأ من اعتناق مثل هذه الفرية امثال الدكتور « **شوبنرر** » وهو من هو فى الثقافة والخلق ، كان من واجبه ان يعصم عقله امام اشاعة رائجة ، فكل قول لا يستند الى البحث ، ولا يستند البحث فيه الى الدليل ، فهو حديث من احاديث الاشاعات ان لم نقل احاديث الخرافات .

والبحث الذى كان من الواجب ان يستقصيه الباحث المقارن بين اليهودية والاسلام انما يقوم على دراسة الموضوع والامة ، لا على دراسة الرقم التاريخى وحده ، ولا يتم هذا البحث الا اذا تناول اصالة اليهود فيما نقلوه من العقائد والاخبار ، وتناول جوهر الدين ولم يقتنع منه باسماء العناوين اما المقارنة فى جوهر الدين فالمعول فيها على المقارنة بين الفكرة التى توجهها الديانة فى العقائدالجوهرية وهى عقيدة الاله ، وعقيدة النبوة وعقيدة التكاليف، ولم يعرف النوع الانسانى دينا رفع العقائد الى سماء من التنزية والرشد والصدق فوق تلك السماء العليا التى ارتفع اليها الاسلام .

ويتعقب استاذنا العقاد : **(د. هـ. ب. شرابى)** فى كتابه : **(الحكومات والسياسة بالشرق الاوسط فى القرن العشرين)** وهذا الكاتب لا يزن الموضوع الواحد بميزان واحد فيما يتعلق بالاسلام وغيره ، ومن مفترياته : أن الاسلام ليس فيه نظرية مستقلة للحكومة ، اذ كل ما يرتبط بالحكومة والدولة يدخل فى نطاق الديانة، فلا فاصل بين الدينيات والدنيويات وان الشريعة — وهى جملة الاوامر الالهية — ليست قانونا بالمعنى المفهوم من القانون فى العصر الحديث، ولكنها قضايا معصومة ترسم للمسلم احكام سلوكه فى حياته كلها : دينيا وسياسيا واجتماعيا وفى الاسرة والبيت».

ويرد العقاد بأن اقدم الامم الديمقراطية عملا بالحكم النيابى هى بريطانيا ، ودستورها فى اساسه قواعد لا تقبل التغيير ، ومنها : حرية الفرد ، وحرية الاعتقاد ، وحرمة المنزل ، ومبدأ المسئولية الوزارية ومبدأ السيادة البرلمانية فى وضع القوانين ، وغيرها وليس مبدأ من هذه المبادىء غير منصوص عليه فى الاسلام : ان الامام يتولى الحكم بالبيعة ، والاسلام يحتم وجود امة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، والسيادة التشريعية فى الاسلام موزعة بين الامام واهل الرأى ، واجماع الامة .

ان احكام الشريعة الاسلامية تنفذ فى كل زمان ومكان ، ولا يعلق تنفيذها اويؤجل الا وفاقا لسيادة التشريع .

ان الفرد حر مسئول ، وان مصلحة الامة اساس فى تطبيق الشريعة وفى وضع الاحكام التى لم تذكر بتفصيلاتها وعوارضها فى الكتاب والسنة .

وعلى الرغم من ان الاسلام هو الدين الذى شرع للارقاء شرعة لم يسبقه اليها دين من الاديان ، وان الحضارة الغربية لم تدرك بعد شاو الاسلام فى انصافه لجميع الارقاء ، الا ان هذه المسالة هى هواية الماديين والمبشرين فى النيل من الاسلام حين يوهمون

الافريقيين ان العرب المسلمين قد احتكروا النخاسة قديما وحديثا ، ودعاة المادة والتبشير هؤلاء اول من يعلم من تاريخ النخاسة انها كانت صناعة شركات اوربية وامريكية تعتمد على سماسرتها من غير العرب المسلمين .

ان الاديان جميعا – قبل الاسلام – اباحت الرق وجاء الاسلام فشرع العتق ولم يشرع الرق ، ولم يبق من قيود الرق الا ما هو باق الى اليوم باتفاق الدول ، وسيبقى بعد اليوم الى ان يشاء الله .

***

وبعد ...

فقد قلت فى المقال السابق : ان مكان العقاد فى الدفاع عن الاسلام هو مكان المرابط فى سبيل الله على الحدود ، ولم يكن من المستطاع ان تستوعب هذه المقالات العاجلة كل حلقات الدور الذى قام به العقاد فى هذا الميدان من صولات ذادت عن حياض الاسلام مفتريات شنها ولم يزل يشنها كتاب الغرب والشرق من ماديين وصليبيين على السواء ، فبعض الكتب التى ناقشها العقاد بلغت صفحاته اكثر من الف صفحة ، وهناك جزء ثان من كتابه : « ما يقال عن الاسلام » لم ينشر بعد ، وارجو ان تتاح الفرصة لنشره قريبا ، ليتبين لنا مكان العقاد على حقيقته فى دفاعه عن الاسلام .

وليس مما يؤسف له ان تظل اقلام هزيلة تنهش سمعة العقاد ، حتى بعد ان افضى بما قدم الى خالقه لان هذه الاقلام لاتستطيع بصريرها ان تثير حوله الا غثاء كغثاء السيل .

ولكن الذى يؤسف له ابلغ الاسف : ان يتجاهل قدر العقاد وماضيه عربى واحد او مسلم واحد ، ولم تزل كلمات شيخ – قيل انه مدرس باحدى كليات الأزهر – ترن فى اذنى . لقد عتب على «الرسالة» عنايتها البالغة بالعقاد اثر وفاته ، **ولما سألته** : هل قرأ للعقاد شيئا من كتبه ؟ اجاب بامتعاض : لم أقرأ له كتابا واحدا لاعتقادى انه ملحد .. !!

ولم اعقب بعبارة واحدة ، فان مثل هذا التعالى القائم على اساس من الحماقة لايحتاج الى تعقيب ..

ولو انصف الازهر لأنشأ للعقاد كرسيا بالدراسات العليا فيه ، فان مؤلفاته الاسلامية ومكانته العلمية جديرتان بهذا الشرف واكبر منه.

محمد عبد الله السمان

غريب

للشاعر: محمد عز الدين المناصره

ياباكيا عند الغروب   خل النواح
فالشمس مهما تغب   يأت الصباح
اشقاك ليل تدوم   فيه النجوم
والشمس مهما تحم   تبقى الهموم
يانائحا عند المساء   هذا الزمن
يسقيك مر الدواء   والنوح فن
يا من تركت البكاء   عد للنحيب
هذا زمان الجفاء   متى يغيب
انى وحيد حزين   هل تعلمين
اماه انى غريب   لو تعرفين
ما كنت انسى الوطن   لولا الجفاء
هذا عبير الشجن   هل من عزاء
الله يبنى القلوب   من روحه
والله يشفى الغريب   من نوحه
الا ترين الزمان   يا امتاه
يجتاح ارضى سواد   يجفو لقاه
فلا كنار هنا   ولا حبيب
ولا هزار المنى   سوى النحيب
اشتاق وقع المطر   عند السحر
والطير فوق الشجر   يزجى نداه
الى جبال « الخليل »   يحلو الحنين
هذا الزمان العذول   متى يلين
ذهبت عند الأصيل   وقت البكاء
الى ضفاف النيل   اشكو الزمان
فقال نح ياغريب   على الزمن
ففى قريب تئوب   الى الوطن

الأردن   « محمد عز الدين المناصرة »

من الأدب السياسى



عنصر التشبيه فى الميثاق

بقلم : جمال الدين كفافى

لقد أجمع كافة الكتاب وأدباؤنا المعاصرون على الميثاق - بالاضافة الى ما يضمه بين غلافيه من ثروة فكرية ووطنية - جاء قطعة من الأدب الفريد الذى يتصف بصدق التعبير وقوته ، ورصانة الأسلوب وقدرته على إيضاح الفكرة وبلورة الهدف، ثم التسلسل بالاحداث التطبيقية للوصول الى النظرية الفكرية التى تربط بين هذه الاحداث برباط من العقيدة والمبدأ ، كل ذلك وهو يسير بالقارىء فى خطوات ثابتة على انغام وطنية تنبعث من بين السطور ، ويعيش بالقارىء فى ماضيه وحاضره ومستقبله فى جو من الحقيقة والصدق .

وقد أرادت الثورة أن تهب الميثاق كل صفات الكمال ، حتى ذلك الكمال اللفظى الذى لا يكترث به العمل السياسى والوطنى حينما يعبر عن نفسه ، ذلك لان العمل الوطنى غالبا ما يحتمى وراء القوة المؤثرة الكامنة فى معناه دون الاهتمام بالمنطق اللفظى للعمل نفسه ، ولكن الميثاق جاء قويا فيما ظهر من اسلوبه ، قويا فيما بطن فى معناه ، سريعا فى الوصول الى القلب والعقل معا وذلك خير شاهد على صدق الجوهر وأصالته .

.. ومن أبرز صفات اسلوب الميثاق ادخال عنصر التشبيه المعبر الذى يتصل بواقع الحياة العصرية التى نعيشها ، دون الالتزام بتلك التشبيهات التقليدية التى عرفها الادب العربى منذ أقدم العصور ، فقد استعمل الميثاق تشبيهات تتصل بالآلة وما يتفرع عنها من أجزاء الحركة كالتروس والصمامات وما تتصف به من حاجة للوقود كمصدر للطاقة المحركة ، ثم تشبيهات تتصل بأعمال البناء والهدم وما يدخل فى ميدانها من تصميمات هندسية ومواد للبناء وقوى عاملة ، وتشبيهات تتعلق بالتربة المصرية وما يتصل بها من زرع وحصاد ، كل ذلك وهو يضع التشبيه فى خير موضعه تأكيدا للمعنى وتجسيما للهدف المطلوب .

وفيما يلى بعض ماجاء فى الميثاق من أنواع التشبيه المختلفة :

- ان مشعل الحضارة انتقل من بلد الى بلد .. لكنه فى كل بلد كان يحصل على **زيت جديد يقوى به** ضوءه على امتداد الزمان .

- ان شباب مصر الرواد ممن ارسلوا - أيام الصحوة التى سبقت النكسة من حكم محمد على - الى اوربا ليتمكنوا من العلم الحديث ، استطاعوا بعد عودتهم الى الوطن أن يجلبوا معهم **بذورا صالحة ما لبثت التربة الثورية الخصبة لمصر ان احتضنتها لتخرج منها بشائر نبت ثقافى جديد راح ينشر الوانا رائعة من الازهار على ضفاف النيل الخالد .**

ـ ان القيادات الوطنية حين تخلع **جـذورها من التربة الشعبية تحكم على نفسها بالذبول وبالموت** .

ـ ان الشعب المعلم صانع الحضـارة راح يلقن طلائعه أسرار آماله الكبرى . ومضى يحرك المبادىء الستة بالتجربة والخطأ نحو وضوح فكرى وصنع **التصميم الهندسى لبناء المجتمع الجديد** الذى يريده ، وراح الشعب الكادح **يكدس مواد البناء** ويكتل جميع القوى الثورية القادرة على الاسهام فيه من صفوف الجماهير .

ـ ان ارادة التغيير الاجتماعى فى بداية ممارستها لمسئولياتها تجتاز فترة اشبه **بالمراهقة الفـكرية** تحتاج خلالها الى كل **زاد فكرى** ، لكنها فى حاجة الى **ان تهضم كل زاد تحصل عليه وان تمزجه بالعصارات الناتجة من خلاياها الحية** .

ـ ان الوعى الثورى استمد من حسـه **الوطنى الصافى قدرته على الرؤيا الواضحة البعيدة المدى** ، وبذلك **امن اجتياز العقبات** التى كان يمـكن ان تعترض على **طريق التغيير الثورى** فى مثل ظروف التجربة التى عاشتها مصر فى تلك الايام .

ـ ان الاستعمار ليس مجرد **نهش لموارد الشعوب** وانما هو عدوان على كرامتها وكبريائها .

ـ فى ثورة سنة ١٩١٩ ، كان المحرومون هم **وقود الثورة** وضحاياها .

ـ ان ارادة الثورة فى بدء قيامها لم تكن لديهـا من دليل للعمل غير المبادىء الستة المشـهورة التى **نحتتهاارادة الثورة** من مطالب النضـال الشعبى واحتياجاته .

ـ لقد كانت هناك **انقاض النظام القديم وحطامه** تسد الطريق .

ـ ان المبادىء السـتة كانت **أعلاما للثـورة** وليست اسلوب عمل ثورى ومنهاج تغيير جذرى .

ـ ان قطعة من الارض العربية فى فلسطين قد أعطيت من غير سند من الطبيعة او التاريخ لحركة عنصرية عدوانية ، أرادها المستعمر لتكون **عمليـة امتصاص مستمرة للجهد الذاتى** للامة العربيـة تشغلها عن **حركة البناء الايجابى** .

ـ ان احتياجاتالوطن لم تكن تكتفى **بترميم البناء القديم المتداعى وصـلبه بقوائم تسـنده وتعيد طلاءه** . وانما كانت احتياجات الوطن تتطلب **بنـاء جديدا ثابت الاساس صلبا شامخا** .

ـ ان الرجعية لم يكن يضيرها أن تفتح **متنفسـا للسخط الشعبى** ما دامت تملك **صمامات التوجيـه** وما دامت بيدها تحت كل الظروف أغلبيتها التى تمكن لديكتاتوريتها الطبقية وتحمى امتيازاتها .

ـ ان العمال لم يصبحوا بعد **سلعة فى عملية الانتاج** لقد أصبح العامل سيد الآلة ولم يعد أحد **التروس فى** جهاز الانتاج .

ـ ان الاشتراكية مع الديمقراطية هما **جناحا الحرية** وبهما معا تستطيع ان تحلق الى الآفاق العالية التى تتطلع اليها جماهير الشعب .

ـ ان العلم هو الطاقة القادرة على **تجديد شباب العمل الوطنى** واضافة افكار جديدة اليه كل يوم .

ـ ان الأسرة هى **الخلية** الاولى للمجتمع ، ولابد أن تتوافر لها كلاسباب الحماية التى تمكنها من أن تكون حافظة للتقليد الوطنى ، **مجددة لنسيجه** ، متحركة بالمجتمع كله ومعه الى غايات النضال الوطنى .

ـ ليس هناك شعب يستطيع أن يبدأ تقدمه من **فراغ** والا كان يتقدم فى فراغ والى الفراغ ذاته .

ـ ان الثورة ليست عملية **هدم انقـاض الماضى** ولكن الثورة هى عملية **بناء المستقبل** .

ـ ان الكلمة الحرة **ضوء كشاف** أمام الديمقراطية السليمة .

ـ ان التنظيمات الشعبية وخصوصا التنظيمات النقابية تستطيع أن تقوم بدور مؤثر وفعـال فى التمكين للديمقراطية السليمة . ان هذه التنظيمات لابد أن تكون قوى متقدمة فى ميادين العمل الوطنى الديمقراطى ، وأن نمو الحركة التعاونية والنقابية **معين لاينضب** للقيادات الواعية التى **تلمس باصابعها** مباشرة أعصاب الجماهير وتشعر بقوة نبضها .

ـ ان العلم هو **السلاح** الحقيقى للارادة الثورية .

وبعد ... فتلك هى بعض الوان التشبيه التى احتواها ميثاقنا الوطنى ، وهى الوان تمتزج فيمـا بينها **لتعطى** صورة صادقة واضـحة لمجتمع متطور جديد ، تمـاما كما تمتزج الوان الطيف لتعطى فى النهاية ضوءا شفافا واضحا لاخلاف عليه .. !! ..

« **جمال الدين كفافى** »

كوميديا فى ثلاثة فصول

حبل الغسيل

بقلم: على أحمد باكثير

(٦)

ملخص ما نشر

ابو الديوك مدير مسرح النهضة وبلعوم مدير الجمعية الاستهلاكية حاولا طرد ابى حنفى المكوجى من مسكنه فى الربع ومن الحوش الذى يتخذه أبو حنفى منشرا لغسيله ولكن ابا حنفى قاوم هذه المحاولة بثبات . وتعطف عليه محسنة زوجة أبى الديوك التى تنكر على زوجها اندماجه فى شلة تعمل على احتكار المنافع فيما بينهم فى كل مرفق ففى المسرح لايقبلون المسرحيات الا من شلتهم . وهذا بلعوم يقبل منه مسرحية عنوانها (مسرحية الوسم) بلغ من سوئها ان الممثلين والمخرجين رفضوها جميعا ولكن ابا الديوك فرض اخراجها على المخرج ميرغنى وتمثيل الدور الرئيسى فيها على حنفى بعد ان تعهد له ابو حنفى ان يترك له الربع .

وسقطت المسرحية سقوطا فاحشا فنسبوا سقوطها الى المخرج ميرغنى والى الممثل حنفى مما اضطر حنفى الى ترك مسرح النهضة والالتحاق بمسرح النجوم . ومما جعل ابا حنفى فى حل من تعهده بترك الربع . ولذلك عمد ابو الديوك وبلعوم الى القاء القاذورات فى الحوش بدعوى ان ابا حنفى هو الذى يلقيها فياتى شاويش يكتب له محضر مخالفة كل يوم حتى يضيق صدر ابى حنفى فيترك الربع . وتعلم كذلك ان ليليان زوجة الدكتور نجم قد اهتدت فى بحثها الى نتيجة تناقض رأى زوجها الشعوبى ولذلك كتمته عنه فهى تخاف ان يقتلها اذا عرف الحقيقة لشدة تعصبه ضد اللغة العربية ونرى كلا من محسنة وعصام يعطف على ليليان ويواسيها فى محنتها هذه .

الفصل الثانى

(يدخل صلصل وميرغنى وزيد وعمرو فيتبادلون التحية مع الحاضرين)

صلصل : لم ار شيئا فى الصالة .. أين البوفيه ؟
ابو الديوك : كل يوم بوفيه ؟ من أين ؟
صلصل : البركة فى الاستاذ عبد الواسع بلعوم
ابو الديوك : هذا لو كنتم نجحتم له مسرحيته !
صلصل : وما ذنبنا نحن ؟
ابو الديوك : الله يجازى الذى كان السبب !
(يتململ ميرغنى ولكنه لا يتكلم)

صلصل : بلغنى أنه قدم مسرحية جديدة
ابو الديوك : .. نعم هيا أرونا همتكم فيها ليعمل لكم حفلة معتبرة
(تنهض محسنة) الى أين يا محسنة ؟
محسنة : سأعمل الشاى
صلصل : شاى حاف يا ست أم عصام ؟
محسنة : خير من لا شىء يا أستاذ صلصل



ليليـان : خذيني معك أساعدك

محسنة : تعال (تخرج المرأتان)

زيـد : والأستاذ بلعوم أمكنه أن يؤلف مسرحية جديدة ؟

ابو الديوك : انه ليس كسلان مثلك

صلصل : ولكن يثبت لنا انه مؤلف ملآن

(يدخل بلعوم وخلفه سعدية وهي تحمل شيئا كالعلبة الكبيرة ملفوفا في ورق)

ابو الديوك : حقا انه مؤلف ملآن !

بلعـوم : عمن تتحدثون ؟

ابو الديوك : عنك يا أستاذ بلعوم

بلعـوم : لكن هذا لقب جديد غير مألوف .. انى أسمعهم يقولون مؤلف عبقرى .. مؤلف نابغة .. مؤلف أصيل ممتاز .. اما مؤلف ملآن فهذا ...

عمـرو : هذا لقب خاص بك أنت يا أستاذ بلعـوم .. أتدرى من أول من أطلقه عليك ؟

عمـرو : من ؟

عمـرو : أنا فى احدى المقالات التى كتبتها عن مسرحيـة الموسم

بلعـوم : هل لك أن تسمعنى ماذا قلت فى تلك المقالة ؟

عمـرو : يؤسفنى أننى لا أتذكر ما قلته بالضبط .. أنت تعلم اننى كتبت كلاما كثيرا عنك

سـعدية : انتظروا يا جماعة (تشرع فى فتح العلبة الملفوفة) انى قد جئت لكم بما تريدون

صلصل : أسمعتم يا جماعة ؟ هذه مدام بلعوم قد جاءتنا بالجاتوه والملبس ونحن لا ندرى !

ابو الديوك : الحمد لله .. البوفيه الذى تشتهونه قد جاءت به سعدية هانم من بيتها !

سـعدية : آسفة يا جماعة .. هذه العلبة ليس فيها جاتوه أو ملبس كما تظنون

الجماعة : أى شىء فيها اذن ؟

سـعدية : قصاصات الجرائد والمجلات التى كتبت عن مسرحية زوجى

زيـد : يا خسارة !

ميرغنى : فرحة ما تمت

صلصل : كنا نظنها وليمة متحركة !

ميرغنى : فاذا هى قصاصات متحركة !

سـعدية : هذه أهم من الجاتوه والملبس يا جماعة وأغلى .

ميرغنى : كلا يا مدام الجاتوه أهم وأغلى

زيـد : وأغلى

عمـرو : لا لا هذه وقاحة ! سعدية هانم على حق . الجاتوه يؤكل فيتحول الى فضلات أما هذه المقالات فستبقى الى الأبد غذاء للذهن والعقل والروح ويضم الى التراث الانسانى فى النقد المسرحى

زيـد : من أجل أن فيها مقالاتك ؟

عمـرو : مقالاتى ومقالات غيرى من النقاد الكبار

سـعدية : (تقلب الأضابير) ها هى ذى مقالاتك يا أستاذ عمرو من أولها الى آخرها

عمرو : عظيم جدا .. حينما أريد ان أنشر هذه المقالات في كتاب سأرجع الى مجموعتك

سعدية : دعني ابحث لزوجي عن المقالة التي يريدها .. أتذكر ما عنوانها ؟

عمرو : عنوانها .. عنوانها .. آسف يا مدام لا أذكر عنوانها

زيد : دائما لا تتذكر ؟ فماذا تتذكر اذن ؟

عمرو : يجب أن تعلم أن الذي يكتب كثيرا مثلي لا يستطيع أن يتذكر كل ما كتب

سعدية : صدقت يا أستاذ عمرو .. دعني أقرأ لك عناوين مقالاتك لعلك تتذكر

عمرو : اقرئي يا مدام

سعدية : المسرحية لم تسقط . الجمهور هو الذي سقط

عمرو : لا .. ليست هذه المقالة

سعدية : ممثل صغير أسقط مسرحية كبيرة !

عمرو : ولا هذه

سعدية : الممثل الناشيء هو المسئول أم المخرج المتمرس ؟

عمرو : ولا هذه يا مدام

سعدية : تكنيك جديد في التأليف المسرحي

عمرو : غيرها غيرها

سعدية : هيئوا الأذهان أولا لاستقبال هذا العمل

عمرو : غيرها من فضلك .

سعدية : لو عرضت في باريس لكان لها شأن آخر

عمرو : (يتظرف في اعجاب بالنفس) كلا كلا يا مدام لا تذهبي بعيدا جدا هكذا

سعدية : مسئولية الاخراج

عمرو : لا ليست هذه

سعدية : الاخراج يجب أن يتكافأ مع التمثيل

مرغني : وبعد ؟ أستغفر الله العظيم الى متى نسمع هذا الكلام الفارغ ؟

سعدية : كلام فارغ ؟ أهذا كلام فارغ يا أستاذ ؟

مرغني : معلوم يا مدام .. كلام فارغ بالنسبة الى المؤلف الآن !

عمرو : لا بأس يا مدام .. سامحيه فانه لا يتحمل النقد

مرغني : أهذا نقد ؟

عمرو : أي شيء هو اذن ؟

مرغني : هذا يا أخي استفزاز للنقود

زيد : (يضحك) حلوة يا أستاذ مرغني !

عمرو : حلوة عندك طبعا . مسكين . ما زلت تعتبر النكتة هي النكتة اللفظية . هي التلاعب بالألفاظ. واحسرتاه .. كيف يمكن أن تكون لدينا نهضة مسرحية حقيقية اذا كان هذا مستوى مؤلفينا ومخرجينا في فهم الفكاهة والنكتة ؟

مرغني : اذن فلنترك التلاعب بالألفاظ ولنقل كلاما جافا صريحا يا أستاذ عمرو أن نقدك هذا نقد مأجور ؟

عمرو : انما قلت هذا لأني هاجمتك في هذه المرة وكان عليك أن تسأل نفسك لماذا لم أهاجمك في المسرحيات التي أخرجتها قبل ذلك ؟

مرغني : لقد سألت نفسي هذا السؤال فكان الجواب هو النقد المأجور !

عمرو : أكنت تعطيني نقودا فيما مضى ؟

مرغني : لا ينبغي عندي أن يكون الناقد شحاذا !

عمرو : (يتغير وجهه قليلا ولكنه يتجلد ويتماسك) مازال بعيدا عليك وعلى أمثالك أن تعرفوا وظيفة النقد وتحترموها وتقبلوا ما يوجه اليكم من نقد بصدور رحبة

مرغني : ربما نجهل حتى الآن وظيفة النقد عموما كما ذكرت ولكنا نعرف جيدا وظيفة النقد عندك ولا نستطيع ان نحترمها لأنها تتلخص في كلمتين اثنتين . ابتهاز وابتزاز

عمرو : (ينهار قليلا) أتسمعون يا جماعة ماذا يقول عني ؟

ابو الديوك : حقا لقد تجاوزت حدك يا أستاذ مرغني الأننا سكتنا لك ؟

مرغني : وعلام السكوت ؟ تكلموا

ابو الديوك : آثرنا السكوت لأننا لم نرد أن نقسو عليك في المحنة التي أنت فيها

مرغني : أي محنة ؟

ابو الديوك : سقوط مسرحية الموسم

مرغني : ما شأني بذلك ؟ أنا غير مسئول

ابو الديوك : عيب يارجل .. عيب عليك أن تقول هذا الكلام. ما من مخرج محترم يقول عن نفسه أنه غيرمسئول عن عمله . لقد كنا نريد أن نتغاضى عنهاونسترها لك .

مرغني : كلا لا تتغاضوا عنها ولا تستروها

ابو الديوك : اذن فخذها كلمة مدوية . لقد كنت متجنيا على الاستاذ عمرو فيما قلت . فليس الاستاذ عمرو وحده هو الذى نسب سقوط المسرحية الى سوء اخراجك . كل الاقلام التى كتبت عن المسرحية اجمعت على هذا الرأى

سعدية : (تحرك الأضابير بكلتا يديها) وعندى أنا البراهين . يا سلام . ما كنت اعرف ان هذه القصاصات مهمة الى هذا الحد ! (تقبل الاضابير) عندى ما يزيد على سبعين أو ستين مقالة . مجلد بحاله !

ابو الديوك : لعلك تظن ان الاستاذ بلعوم وزع نقوده على هذه الاقلام كلها ؟ !

بلعوم : اذن اكون انا اغنى من بيت المقوم !

صلصل : (ساخرا) تبا لك يااستاذ بلعوم ! أيتدفق كرمك يمينا وشمالا على هذا الجيش العرمرم من الكتاب ثم تبخل علينا اليوم بعلبة جاتوه ؟

نجم : ما هذا الذوق البلدى ؟ أكل شيء تقلبونه قافية ؟

صلصل : أوتكره انت القافية ؟ الا تعجبك الفنون الشعبية؟ تعجبنى حين تكون فى محلها . اننا نريد الآن أن نسمع رد الاستاذ ميرغنى !

زيد : أجل . هات ردك يا أستاذ ميرغنى

ميرغنى : ما كنت أريد ان اقول هذا الذى سأقوله الآن لولا انه قد آن لى فيما يظهر ان اصارحكم بالحقيقة المؤلمة . الاقلام التى كتبت هذه المقالات ليست مأجورة . انها اسوأ من ذلك والعن !

ابو الديوك : ماذا تقول ؟

ميرغنى : ان اصحابها لا يأخذون نقودا ولكنهم يأخذون أوامر من جماعة معينة ذات اتجاه خاص بصفة تآمرية على فرض اتجاهها بمختلف الوسائل وتحارب خصومها بالدس والوقيعة والارهاب الفكرى والمهاجمة فى الصحف والتجاهل والصمت

الجماعة : ما هذا الذى تقول ؟

ميرغنى : دعونى أكمل كلامى . وخطورة هذه الجماعة أن افرادها ابثوا فى الاجهزة الحساسة بطريقة منظمة وصلوا الى الصحف وهم يزحفون على وسائل الاعلام الاخرى .

صلصل : من ذا تقصد يا أستاذ ؟

ميرغنى : الذين اقصدهم يعرفون انفسهم . الذى برأسه اصابة يحسس عليها .

ابو الديوك : انه يكاد يجن من الكتاب الذين هاجموه .

ميرغنى : لاريب اننى اكاد أجن .. وكيف لا وهؤلاء الكتاب يسممون الجو الفنى فى البلد ويضللون الجماهير ويزورون تاريخ الفن . فالهلافيت الذين من عصابتهم يرفعونهم الى السماء السابعة والنوابغ الذين ليسوا من عصابتهم اما أن يخسفوا بهم الارض الارض ويهيلوا عليهم التراب واما أن يرموا عليهم ظلال النسيان والتجاهل والصمت

(ينظر بعضهم الى بعض ثم يتفاهمون كأنما اتفقوا على الاعراض عن هذا الموضوع الشائك والانتقال الى موضع آخر)

صلصل : يخيل الى يا أستاذ ميرغنى انك ذهبت بعيدا جدا عن الاساس الذى دارت حوله المناقشة

ميرغنى : أبدا أبدا أنا فى صميم الموضوع

نجم : ما رأيك اذن فى النجاح العظيم الذى نجحته المسرحية لما مثلتها الفرقة المحلية فى دمنهور ؟

ابو الديوك : واخرجها مخرج شاب كان من تلاميذك

زيد : (على حدة) بودى والله أن أؤيدك وأقف فى صفك لولا أنك هاجمت الشلة كلها فلم أستطع ان اقول كلمة

صلصل : اليس هذا أكبر دليل على أنك كنت السبب فى سقوطها او على الأقل من اسباب سقوطها فى القاهرة ؟

ميرغنى : ومن قال لكم انها نجحت فى دمنهور ؟

سعدية : الجرايد كلها يا اخ ، الا تقرا انت الجرائد . من قال لكم قال !

عمرو : مكابرة وانكار للواقع

ميرغنى : أجل .. تنفس يا أخى تنفس من جديد !

ابو الديوك : لقد قال الأستاذ عمرو الحق . مكابرة وانكار للواقع

سعدية : دعوه يكابر كيف يشاء . من حسن الحظ انى جمعت أيضا المقالات التى كتبت عن نجاح مسرحية زوجى فى دمنهور . ها هى ذى معى . اقراها يا أستاذ ان شئت . أتعرف القراءة أم لا ؟

ميرغنى : (يضحك) حقا شر البلية ما يضحك

سعدية : أنت والله البلية لا بلية غيرك

ميرغنى : هذه القصاصات احفظيها يا ستى فى دار الكتب ليتسنى للأجيال القادمة ان ترى كيف استطاع بعض الذين لا ضمير لهم أن يزوروا تاريخ الفن فى البلد .

نجم : هل ذهبت انت الى دمنهور يا أستاذ ميرغنى وشاهدت المسرحية هناك ؟

ميرغنى : لا .

((البقية على صفحة ٣٤))



للدكتورة : عاتكة

هواك هـواى الذى يعـرفون وسرك سرى فمـا ينكرون
احبك فوق الهوى والظنـون وفوق الذى يحسب العاشقون
هواك هـواى ايا عالمـا تقاصر عن وصفه الواصفون
تملكنى جمـلة جمـلة وهـان به كل مالا يهون
فبعضى وكـل به موكل تعاليـت عما به يشركون
وفيك عشقت الجمـال الرفيع وأدركت سر ضياء العيـون
جمـالك يا خـالقى آيـة يضل باسرارهـا المهتدون !
احبـك للحب لا رغبـة ولا رهبـة بئس ما يافكون
هواك هوى لم تصـفه اللغى وأعيى النهى وتحدى الظنون
فانت بروحى رفيف السـنى وهمس المنى وابتسـام الفتون
ونفـح يشيع وروح يذيع ووحى امين وحسـن مصـون
تعاليت سـبحت ياصـورة تناهت وحار بها المبدعـون
يكذب بالوهـم منهـا اليقين على انهـا مجتـلى للعيـون
اراها حـوالى فى كل حين ترف فانى بهـا يـكفرون
احدث فى السر منـك الفؤاد فتعلم سرى وما يجهلـون
واخلو فالقـاك فى خلوتى واغفو ورؤياك ملء الجفون .. !
تطالعنى فى ارتفاع الضحى وتبسـم لى فى ظلام الدجون
فانت معى فى مجالى اليقين وأنت معى فى خبايا الظنون .. !

يسـبحك الخلق فى كل آن ويعنـو لهيبتـك القانتون
ويغـدو على بابك الأقـوياء ويرجو مواسـاتك المتعبـون
ويسالك الرحمـة الأتقيـاء ويـاوى الى ظلـك المذنبون
وتحنى الجبـاه لعز الآلـه ويخضـع للأكبر الكابرون !

تباركت سـبحت ياذا الجلال ويا من اليه غدا يرجعـون
ويا مجرى الفلك فوق البحار ومن باطن الصخر ثج العيون



ويا مجرى الشمس فى افقهـا   وكل عل فلـك يسـبحون
تباركت كيف سلخت النهـار   من الليل كيف مسخت القرون !
وكيـف بريتهـم من رغام   وكل الى اجـل سـائرون
وسويت بينهـم بالحمـام   وروضت فيهم جماح الحرون

• ———— •

تباركت كيف قسمت الجدود   وكيف يقـال بها العـاثرون
وسعت بحلمك طيش الجهـول   وغى الـكفور ولؤم الخئـون
ولم توصد الباب دون الجحود   ولا دون ما امل التـائبون
حكمت فاقسطت فى العـالمين   وبالعدل فليحكم الحـاكمون
فنارك يصلى بها الـكافرون   وجنات عدن بها المؤمنون !

• ———— •

تباركت يارب هذا الوجـود   ومن باسمه سبح العـالمون
ويا موقـد النـار من اخضر   ومعطى من الارض ما يشتهون
ويا مخـرج الحـى من ميت   ومن قال للشيء كن كى يكون !
تباركت يا فاطر الـكائنات   ومن هم اليه غدا ينسـلون
فزعت لبـابك ارجـو حمى   لضعفى فانت حماى المصون !
عبادك يارب ضلوا السـبيل   وحار الدليـل فما يهتـدون
الشامخ فى ارضك الادنيـاء   فايان عن غيهـم ينتهـون
وجـارت بأحـكامها الأقوياء   فسيم الضعيف عذابا وهون
ولم يعط من مالك الاغنيـاء   وراحوا على شحهم يحرصـون
ولم يبق فى الناس معنى الحياء   فامسـوا بآثامهـم يفخرون
وضجت مواخـيرهم بالحيـاة   وباتت محاريبهم فى سكون !
عبادك يارب ضلوا السـبيل   فاين الدليل ؟ عسى يهتدون !
اخاف عليهم وارجـو لهـم   فغفرا لهم .. انهم لايعـون
وانت الغفور الودود العليـم   بما قد يسرون أو يعلنـون
وانت اللطيف الرءوف الرحيم   وانت الرفيق الشفيق الحنون ..!

« بقية المنشور على صفحة ٢١

نجـــم : فكيف تحكم عليها اذن ؟

ميرغنى : انى أعرفها جيدا يا دكتور . هذه لا يمكن أن تنجح أبدا . مســـتحيل . ماذا تظنـــون أهل دمنهور ؟ أتظنون أنهم لا يفهمون الفن ؟

نجـــم : الا يجوز يا أســـتاذ ميرغنى أن الشـــاب الذى أخرجها قد سلك فى اخراجها طريقة جـــديدة ليست تخطر على بالك ؟

ميرغنى : ولو ! لا يمكن ان تنجح أبدا

نجـــم : كذا بغير برهان ولا دليل ؟

ميرغنى : لو جاءوك بحمارة عرجاء وقالوا لك ان جوكيـــا يستطيع لو ركبها أن يسابق بها خيول السباق فيسبقها جميعا اكنت تصدق هذا الكلام يادكتور؟

نجـــم : التشبيه هنا مع الفارق وقد سمعت أن هـــذا المخرج كان تلميذا عنـــدك فكان الواجب عليك يا أستاذ ميرغنى أن تفرح لنجاحه وتفخر به

صلصل : يظهر ان الذى غاظه يا دكتور هو ان هذا المخرج كان تلميذا عنده

نجـــم : فليطلع مثله على الاتجاهات الحديثة فى الاخراج المسرحى

صلصل : ان هذا المخرج الشاب درس فى أوروبا يادكتور

نجـــم : فليسافر الاستاذ ميرغنى الى أوروبا

صلصل : أبعد ما شاب أدخلوه الكتاب كما يقول المثل ؟

نجـــم : لا بأس . اطلب العلم من المهد الى اللحد !

ســـعدية : والآن اعترفت بخطئك ؟

ميرغنى : حقا كنت مخطئا اذ رضيت ان أناقش معكم فى موضوع هذه المسرحية التافهة

ســـعدية : تافهة ؟ أهكذا تشتم المسرحية أمامى أنا وأمام زوجى ؟

ميرغنى : يا مدام هذه ليست شتيمة . هذه حقيقة !

ابو الديوك : ان كنت لا تصدق المقالات التى نشرت فى الصحف فما تقول فى الخبر الذى نزل فى الجرائد كلها تانى يوم الافتتاح فى دمنهـــــور . ان المشرفين اضطروا الى الاستعانة برجال الشرطة لحفظ النظام من شدة تزاحم الناس على شباك التذاكر ثم هجومهم على المسرح بعد ما نفدت التذاكر كلها ؟

ميرغنى : يا جماعة . هذا كلام لا يمكن أن يصدقه أحد . من منكم حضر ليلة الافتتاح التى أشرتم اليها ؟

صلصل : ما من أحد منا حضرها ولكن كثيرين ممن جاءوا من دمنهور أكدوا لنا أن هذا الحادث وقع فعلا

(يسكت ميرغنى وهو يحرك رأسه فى سخرية)

الجميع : هيه .. لماذا سكت ؟ الا تنطق ؟

ميرغنى : دعونا من هذه المسرحية واتركونا فى المهم

الجميع : وما هو المهم ؟

ميرغنى : هذا الوضع الغريب الذى نحن فيه . يخيل الى أن الصحافة قد دخلها جماعة من الناس انشأوا فيما بينهم شبه حزب غير رسمى وغير مشروع فى بلد ليس فيه أحزاب ومن طريق الصحافة وتحت ستار الاشتراكية يمارسون نشاطهم الذى هو فى حقيقته ضد الاشتراكية العربية وضد المثل الادبية والقيم الروحيـــة التى تدعـــو اليهـــا الاشـــتراكية العربيـــة !

صلصل : اين هؤلاء الجماعة ؟ لا وجود لهم الا فى خيـــالك المريض

ميرغنى : رويدكم لا تقاطعونى حتى أتم كلامى . وفى مجال الفن ومن طريق الصحافة ذاتها يشنون حـــربا سلبيـــة سرية على كل كاتب أو فنان ليس من حزبهم . اذا ظهر له كتاب أو أى عمـــل فنى قابلوه بالصمت والاعراض مهما كان عمله من روائع الادب أو الفن اما اذا ظهر لواحد من حزبهم اى كتاب ولو كان تافها او اى عمل فنى ولو كان هزيلا فانهم يطبلون له ويزمرون ويكيلون له المدح والثناء فى كل جريدة ومجلة !

ابو الديوك : من هم هؤلاء ؟

ميرغنى : عجبا .. الناس كلها عرفتهم أما هم فلم يعرفوا أنفسهم بعد . لكن صبرا صبرا . لأكشفنهم أكثر وأكثر بعد . انى كنت أصادقهم وأعمل معهم فى مجال الفن ظنا منى ان الفنان الحر يمكن أن يتعاون مع هؤلاء دون أن يفقد حريته .. وبقيت على هذا الوهم سنين ولكن اتضح لى فيما بعد ان هذا المطلب مستحيل لأنهم يرون حرية الفكر وحرية التعبير حلالا لهم وحدهم وحراما على غيرهم فأحســـست أن روحى تظلم وعقل يضيق ونفسى يختنق وحاولت مرارا أن أتركهم فلم أقدر الا عز على ان أخون العيش والملح . لكن اليـــوم تحررت منهم والحمد لله . تخلصت من ذلك الكابوس البغيض . أنا حر .. حر والحمد لله .. هيه .. هل عرفتهم الآن يا أبا الديوك ام لم تعرفهم بعد ؟

ابو الديوك : وماذا تنتظر ؟ الا تفارقنا يا أخى ؟

ميرغنى : غد .. تفضل .. ها هى ذى الاستقالة قـــد كتبتها من السنة الماضية ! (يناولها له)

ابو الديوك : اشهدوا يا جماعة . ان لم يرجع لى ثانية فلست أنا أبا الديوك !

ميرغني : لماذا ؟ الا يوجد مسرح آخر غير مسرحك ؟

ابو الديوك : ستري . غدا ترجع لي وتترجاني أن أقبلك !

ميرغني : أبوس القدم وابدي الندم ؟ لا والله ولو مت من الجوع

ابو الديوك : انك حتما ستموت من الجوع

ميرغني : اذن فانظر . هذا عقد أمضيته مع مسرح النجوم بضعف المرتب الذي آخذه من مسرحك

(يدهش ابو الديوك والآخرون)

ميرغني : الا تصدق يا أبا الديوك ؟ خذ اذن هذه صورة زائدة عندي من العقد خذها لك . بروزها وعلقها فوق رأسك . احملها منجلا فوق رقبتك ومطرقة فوق دماغك ! (يرمي له صورة من العقد) يا جماعة أنا رائح الى مسرح النجوم (يخرج)

(يسود الوجوم هنيهة)

(تدخل محسنة وليليان تحملان براد الشاي وصينية الفناجين)

محسنة : أصب لكم الشاي يا جماعة ؟

ابو الديوك : ليس الآن يا محسنة

محسنة : متى اذن ؟

ابو الديوك : بعد قليل

محسنة : سيبرد

ابو الديوك : ليبرد !

سعدية : (محتجة) أمن أجل أن هذا المخرج الفاشل انفصل عنكم تبطلون شرب الشاي ؟ ليذهب الى الجحيم ! في داهية ! دعوا مسرح النجوم يبل به وينكب . سوف يسقط له مسرحياته ان شاء الله واحدة بعد واحدة !

بلعوم : رويدك يا سعدية دعيهم وشأنهم

زيد : اننا لن نشرب الشاي الا بعد أن تستقروا على رأي في مسرح النجوم هذا . لا ينبغي أن كل من يتحدانا ويخرج عنا يجد ترحيبا هناك !

عمرو : صحيح . يجب أن تستولوا أيضا على مسرح النجوم حتى لا يستطيع أحد أن يتنفس الا اذا كان خاضعا لسلطاننا .

بلعوم : شك ان الاستاذ ميرغني يشنع الآن على مسرحيتي هناك !

سعدية : وحنفي .. أنسيت حنفي اللعين الذي أسقط مسرحيتك وفر الى هناك ؟

نجم : دعونا من حنفي فأمره يسير وانما الخطر هو خطر الاستاذ ميرغني اذا تركتموه يعيد الكلام الذي سمعناه منه اليوم

صلصل : اطمئنوا يا جماعة . الاستاذ أبو الديوك ليس بنائم فقد بدأ ينشر شباكه فعلا ليبسط نفوذه على مسرح النجوم كذلك

زيد : ومتى يتم ذلك ؟

ابو الديوك : لا تستعجلوا فالأمر ليس بهين انه يحتاج الى مجهود كبير ووقت غير قصير .

عمرو : أتريدون أن تتركوا ميرغني وحنفي يعملان ويتبجحان هناك الى أن يحين الأوان وتستولوا على مسرح النجوم ؟

بلعوم : حقا يجب أن تجدوا لنا حلا في أمر هذين الأبقين !

صلصل : ماذا ترى يا أستاذ أبا الديوك ؟ ما أظن أن الحل يصعب عليك

ابو الديوك : أهذا كل ما تريدون ؟ يسير .. أنا أبو الديوك والأجر على الله !

صلصل : أعتقد يا جماعة اننا نستطيع أن نشرب الشاي الآن

(تصب محسنة الشاي وتقدمه للحاضرين فيشربون)

سعدية : والمسرحية الثانية التي قدمها لكم زوجي ماذا صنعتم فيها ؟

ابو الديوك : اعتبريها يا ستي في حكم المنتهية

سعدية : ومتى يبدأ عرضها ؟

ابو الديوك : قريبا جدا سنبدأ في توزيع أدوارها من الاسبوع القادم

زيد : الله ! ومسرحيتي أنا ؟ أنسيتموها ؟

ابو الديوك : انتهيت منها يا أستاذ زيد ؟

زيد : انتهيت من الفصل الاول

عمرو : أتريد أن يبدأوا في مسرحيتك وأنت لم تكملها بعد ؟

زيد : وما شأنك أنت ؟ هذه طريقتي أقدم لهم فصلا بعد فصل

ابو الديوك : كلا يا أستاذ زيد هذه المرة لن نقبل منك المسرحية الا كاملة !

عمرو : أحسنت يا أستاذ أبا الديوك أي تأليف هذا الذي يقدم قطعة قطعة ؟

زيـــد . هذه عادة المؤلفين الكبار ان كنت لا تعرف !

عمـــرو : لا عجب ان ركبك الغرور فطالما دللك الاستاذ ابو الديوك حتى افسدك .

زيـــد : قلت لك أسكت . لا شأن لك !

صلصل : ماذا جرى يا جماعة ؟ ألا تكفون عن الشجار ؟

ســـعدية : اراك يا أستاذ زيد تقف دائما فى طريق زوجى ما حكايتك ؟

زيـــد : لا والله يا مدام ولكن مسرحيته الاولى لم يمض عليها شهر بعد ؟

ســـعدية : ولكنها لم تمكث على المسرح غير أسبوع واحد . لقد اتفق مبغضى وحنقى على اسقاطها

زيـــد : وما الضرر لو أجلنا الثانية قليلا يا مدام ؟

ســـعدية : كلا يا أستاذ زيد يجب أن نتدارك خجلنا فى الحال

زيـــد : وماذا يضمن لك أنها ... ؟

ســـعدية : (فى غضب) انها ماذا ؟

زيـــد : لا شىء لا شىء

ســـعدية : لقد عرفتك الآن .. انت تغار من زوجى

زيـــد : أغار من زوجك ؟

ســـعدية : لا شك فى ذلك

زيـــد : لماذا ؟ لأنى مغرم بالسقوط ؟

ابو الديوك : وبعد يا استاذ زيد

زيـــد : انى خائف على سمعتك يا أستاذ أبا الديوك اذا عرضتم مسرحية ثانية لنفس المؤلف بعد سقوط مسرحيته الاولى بشهر واحد فماذا يقول الناس عنك ؟

ســـعدية : ماذا يقولون عنه ؟

زيـــد : لقد قالوا عنه ما قالوا !

ســـعدية : ماذا قالوا ؟

زيـــد : قالوا انه استغل نفوذه فقبل مسرحية لصديقه مدير التموين وفرضها على المسرح !

ســـعدية : اين سمعت هذا الكلام ؟

زيـــد : سمعته فى كل مكان وهناك أشاعة ثانية تقول أن الأستاذ أبا الديوك هو الذى ألف المسرحية وخاف أن يتهم باستغلال النفوذ فنسبها الى صديقه

نجـــم : هذا كلام خطير يجب أن يوضع حد لهذه الاشاعات

ابو الديوك : ان كان هذا هو الذى يخيفكم فأطمئنوا . اتدرون ماذا صنعت لكى اخرس السنة الجميع ؟

الجميع : ماذا صنعت ؟

ابو الديوك : قدمت المسرحية الى لجنة القراءة باسم مستعار ولما وافقت اللجنة عليها البارحة أعلنت لهم اسم مؤلفها عبد الواسع بلعوم

زيـــد : واعضاء اللجنة أما كانوا يعرفون أنها لعبد الواسع بلعوم ؟

ابو الديوك : ياله من سؤال بارد ! بالطبع كانوا يعرفون !

زيـــد : ما الفائدة اذن من وضع الاسم المستعار ؟

ابو الديوك : لنعمى عيون الناس ونسد أفواههم

زيـــد : ومن أين يعرف الناس هذه الحكاية ؟

ابو الديوك : غدا ستجد الخبر فى الجرائد كلها بالتفصيل

عمـــرو : ياسلام عليك يا أستاذ أبا الديوك ؟ تعجبنى والله !

زيـــد : (فى احتجاج وأسى) خلاص .. لن أتم المسرحية !

ابو الديوك : ماذا تقول !

زيـــد : انقطعت عن التأليف . بطلت التأليف .. تركت التأليف

ابو الديوك : ياأستاذ صلصل لقد غضب صاحبنا حقا !

صلصل : معذور يجب أن تراضيه ياأستاذ أبا الديوك . هذا كاتبنا الملاكى الذى نعتز به !

ابو الديوك : معلوم معلوم وهل دقه أو زيه أحد مثلما دللته أنا وربيته ؟

صلصل : يجب أن تراضيه فى الحال

ابو الديوك : فى الحال ياأستاذ صلصل ! حقك على ياأستاذ زيود آه لو تعرف لماذا أخرت مسرحيتك لرقصت من الفرح !

زيـــد : ايه .. لماذا ؟

ابو الديوك : لأننا سنبعث فى طلب مخرج أجنبى من روسيا او فرنسا او المانيا أو انجلترا ليقوم باخراج مسرحيتك

زيـــد صحيح يا أستاذى ؟

ابو الديوك : نعم .. أستقر الرأى على ذلك

زيـــد : مخرج عالمى

ابو الديوك : لمؤلف عالمى .

زيـــد : أرقص من الآن ؟

ابو الديوك : ارقص ! .

زيـــد : (يترقص من الفرح) مخرج عالمي لمؤلف عالمي ! مخرج عالمي لمؤلف عالمي ! مخرج عالمي لمؤلف عالمي ! قولوا للمؤلفين ليموتوا أجمعين !

عمـــرو : لا مؤاخذة ياجماعة .. كيف يستطيع المخـــرج الاجنبي أن يفهم كلامنا العربي ؟

ابو الديوك : اهذه مشكلة ياحضرة الناقد ؟ سنترجم له النص الى لغته

عمـــرو : لكن هذا سيكلفنا مبالغ ضخمة

زيـــد : شيء بارد ! أتدفعها أنت من جيبك ؟

عمـــرو : نعم من جيبي لاني أنا من دافعي الضرائب لا من المتهربين مثلك !

زيـــد : دعني من هذا . لقد عرفنا السبب . ما أثار ثائرك الا اني سأتحول الى مؤلف عالمي

عمـــرو : مؤلف عالمي على وزن نصاب عالمي !

زيـــد : وأنت ستبقى طول عمرك مجرد ناقد محلي

عمـــرو : رويدك ياهذا أو قد صدقت هذه الحكاية ؟ حكاية المؤلف العالمي ؟

زيـــد : ان كان لقب الناقد المحلي لايعجبك فخذ لقب الناقد المأجور !

عمـــرو : (يستشيط غضبا) ماذا تقول ؟

زيـــد : الاستاذ ميرغني هو الذي اطلقه عليك .

عمـــرو : اسمع يامدلل يامريب الا تظن انا سكت للاستاذ ميرغني التي سأسـكت لك أنت ؟ والله لاكسرن دماغك ! (يشمر ساعده في تهديد)

ابو الديوك : (يدفعه عن زيد) حذار يا أستاذ عمرو . حـذار أن تمس دماغه !

عمـــرو : انت على حق . نخشى أن تخرج رائحة البيضـة الفاسدة !

ابو الديوك : (ينهره) كفى لا اريد ان اسمع اكثر مما سمعت!

(يسكت الجميع)

صلصل : قل لي يا أستاذ بعلوم ما هو الاسم المستعار الذي اخترته لنفسك ؟

بلعـــوم : والله لا أدري ما هو !

ابو الديوك : أجل هو لا يدري شيئا أنا الذي اخترته ووضعته على المسرحية

صلصل : ترى ما هو الاسم المختار ؟

ابو الديوك : اسم مضحك !

صلصل : لقد شوقتنا اليه ما هو ؟

ابو الديوك : حمار الوحش

ســعدية : حمار الوحش ؟ ما وجدت لزوجي غير هذا الاسم حمار الوحش ؟

بلعـــوم : (ممازحا) أنا أحتج على ذلك

نجـــم : (متعالما) لا ينبغي ان تغضب يا أستاذ بلعوم،هذا الاسم مطابق للحقيقة تماما

بلعـــوم : (غاضبا) ما هذا يادكتور ؟ أتشتمني في وجهي؟!

نجـــم : ابدا والله . بل بالعكس .. اتعرف ما معنى كلمة الفنان في لغتكم العربية ؟

عمـــرو : ما معناها ؟

نجـــم : حمار الوحش

الجميع : احقا ماتقول يادكتور ؟

نجـــم : ارجعوا الى القاموس ان شئتم

صلصل : الفنان حمار وحش ؟

ابو الديوك : وحمار الوحش فنان

الجميع : أمر عجب !!

نجـــم : وعلام تعجبون ؟ بدو متوحشون لايفرقون بين الفنان والحمار ولا يميزون

بلعـــوم : كانك كنت تقصد هذا المعنى يا أستاذ أبا الديوك

ابو الديوك : لا والله ماخطر هذا على بال .. او تظنني ياأستاذ بلعوم لا أميز بين الفنان والحمار ؟

(يتضاحكون)

(يعود ميرغني ومعه ثلاثة رجال : كهل وشابان فينقطع الضحك فجاة)

ابو الديوك : لم رجعت يا أستاذ ؟

ميرغني : من أجل هؤلاء الأساتذة

ابو الديوك : ومن هؤلاء ؟

ميرغني : وفد من دمنهور يريدون أن يقابلوك

ابو الديوك : أوقد انضممت الى جماعة الأدلاء ؟

ميرغني : نعم

ابو الديوك : بهذه السرعة ؟

ميرغني : نعم

ابو الديوك : هانت ذا قد اديت المهمة . فهل لك أن تنصرف غير مطرود ؟

ميرغني : كلا .. كما رافقتهم في المجيء سـأرافقهم في الانصراف . رجل على رجلهم

ابو الديوك : (للوفد) حسنا ماذا تريدون ؟

الوفـــد : (بصوت واحد) ألا تعرف انت ماذا نريد ؟ نريد ان نسألك لماذا وكستنا بتلك المسرحية التافهة التي سميتموها مسرحية الموسم ؟

ســعدية : تصيح في وجوههم) ما هذا ؟ اتشتمون مسرحية زوجي ؟

الوفـــد : ازوجك هو الذي الفها ؟ والله لنخربن بيته كما خرب بيوتنا !

« البقية على صفحة ٤٧ »

تعقيبات

بقلم : عباس خضر

التراث والغزو القديم والجديد فى مؤتمر الأدباء

البحث الذى القى عن التراث فى مؤتمر الأدباء العرب ، كان من خير البحوث وأجداها ، يربط الماضى بالحاضر ، ويستخلص من هذا الربط ما ينفع المجتمع العربى الجديد .

بدأ الدكتور ناصر الدين الأسد مدير جامعة الأردن (صاحب البحث) بتصوير الصراع بين الجديد والقديم فى تراثنا العربى ، وقد نشب هذا الصراع بين طائفتين ، تتمثل الأولى فى الرواة العلماء الذين كانوا لا يرون الأدب الحق الا فى التراث القديم ، وانكروا انتاج من عاصرهم من الشعراء وعدوهم محدثين او مولدين لا يسمون الى طبقة السابقين .

واخذت الطائفة الثانية الطرف الآخر ، فتنكرت للتراث القديم ، بل سخرت منه وحاولت أن تهدمه هدما ، وتمثل هذا الموقف فى اتجاهين ، أحدهما ما ذهبت اليه جماعة ساذجة من الوعاظ والزهاد خيل اليهم ان ينصروا الاسلام ويعلوا من شأنه بادعاء ان العرب كانوا فى جاهليتهم امة جاهلة لا حظ لها من علم أو معرفة ولا من عمران أو رقى . والاتجاه الآخر هو اتجاه الشعوبيين الذين تملكهم الحقد واعمتهم العصبية ، فلم يروا فى العرب الا انهم رعاة ابل وغنم لا فكر لهم ولا حكمة ولا أدب ولا علم ، وقالوا : **ما شعر العرب ؟ الم يكن عوجا على رسم يسائله وعلى طلل يبكيه ؟ ومن كان العرب ؟ الم يكونوا اعاريب ؟ ليس الأعاريب عند الله من أحد .. كيف نترك الحضارة لمثل هذه البداوة الجافة ؟**

وقال شاعرهم :

فلست بتارك ايوان كسرى
لتوضح او لحومل فالدخول

وضب فى الفلا ساع وذئب
بها يعوى وليث وسط غيل

ولنستمهل الدكتور ناصر الدين الأسد قليلا لنعرج على ما يقال الآن من مثل ما قيل فى ذلك الزمان والتاريخ يعيد نفسه كما يقولون .

نعرج على ما كتبه لويس عوض فى الاهرام عن بدر شاكر السياب ، فقد انتهز فرصة الكتابة عن شاعر عربى ليثلب العرب ويحاول الازراء بموروثهم من الشعر عن طريق تصيد بعض الفقرات والكلمات وانتزاعها من سياقها وملابساتها . يقول عن السياب وزملائه فتمردوا على الفن الموروث صورة ومادة ، ولم يكن امامهم الا معمار شوقى (والمعمار كلمة أخذها لويس عوض عن محمود امين العالم) والكلاسيكيين من ناحية ، وأحلام على محمود طه والرومانسيين من ناحية أخرى ، لم يكن امامهم الا : « **رمى القضاء بعينى جؤذر أسدا** » ولم يجدوا أمامهم الا من يقول لهم : « **السيف أصدق انباء من الكتب** » ومن يقول لهم .

« لم يكن وصلك الا حلما في الكرى او خلسة المختلس » .

أليس هذا مثل ذاك ؟ ألست ترى في تصيد هذه الفقرات مثل صنيع الأول في تصيد « توضح وحومل والدخول » ؟ **الا ترى النهج واحدا والقصد هو هو ؟. شيء واحد يختلف فيه الشعوبيون الحديثون عن أسلافهم ،** هو أن القدماء كانوا يجمعون ــ كما قال الدكتور الأسد ــ بين تسفيه تراث العرب والتثقف بهذا التراث ، فأبو نواس مثلا يقول عن نفسه : « ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب منهم الخنساء وليلى ، فما ظنك بالرجال » .

أما أصحابنا الآن فهم يجهلون التراث ومع هذا يخوضون فيه .. فلويس عوض مثلا ينقل الشعر محرفا ، لا يقيم له وزنا ولا يدرك له معنى ، وليته يلتزم الوقوف مع « **بكت** » في انتظار « **جودو** » ولا يقحم نفسه فيما لا علم له ولا دراية به .

ونعود الى سياق الحديث عن الصراع بين القديم والجديد ، ذلك الصراع المتجدد دائما في كل عصر والذي يصحبه التطرف من الناحيتين ، ويصحبه أو يعقبه تيار أهدى سبيلا ، وهو التطور الطبيعي الذي ينطلق من الجذور ويتفرع ويورق ويثمر وقد حدث هذا التطور السليم منذ بدء الاسلام ، فقد ندد الوحي ــ كما قال الدكتور ناصر الدين الأسد .. بالبالي من التقاليد الموروثة التي كانت تعوق التطور ولكنه لم يكن هدما للتراث والقيم القديمة كلها . **ولذلك كان الصحابة يجمعون في حياتهم بين التطور والنمو في المجتمع الجديد وقيمه وبين التمسك بالتراث الجاهلي والمحافظة عليه ،** فكانوا يروون مآثر العرب ويتذاكرون أخبارهم وينشدون أشعارهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنشد أصحابه الشعر الجاهلي ويسائلهم عنه ويبدي اعجابه ببعضه .

واستمر تيار التطور السليم الى جانب الصراع بين الطرفين المتطرفين ، يتمثل في عباقرة الأمة العربية والتراث العربي ، مثل الجاحظ الذي أعلن رأيه قائلا :

وقد رأيت ناسا منهم يهرجون اشعار المولدين ، ويستسقطون من رواها . ولم ار ذلك قط الا في راوية الشعر غير بصير بجهر ما يروى . ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان ، وفي اي زمان كان » .

ومثل ابن قتيبة القائل :

« لم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص بها قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده ، في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثا في عصره » .

ومثل ابن رشيق الذي أوجز القضية بقوله :

« كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالاضافة الى من كان قبله » .

ومن النتائج التي انتهى اليها الدكتور الأسد في بحثه ، أن التجديد في الأدب خاصة ، وفي التراث الفني والفكري عامة ، أمر لا يجوز أن يكون مثار جدال ولا موضع انكار ، **حين تنتفي مظنة العداء لهذا التراث ،** وحين يقوم بالأمر أفراد من أنفسنا أحاطوا بتراثنا احاطة معرفة وفهم وتذوق ، وارتوت نفوسهم من معينه ومن قيمه ومثله ، ثم تفتحت على آفاق جديدة لم نعرفها في التراث القديم ، ولكنها انحدرت من روحه ومن جوهر كيانه ، ونبعت من ذات الأمة ومشاعرها وحياتها وحاجاتها وآمالها .

واذا كان تراثنا في الماضي لم يتردد في الاسترفاد بضروب التراث المختلفة عند الأمم جميعها وامتص كثيرا منها وجعلها جزءا منه ، فاننا نقصر في حق أنفسنا وكرامتنا الفكرية حين نغلق منافذ النور من حيث أتى ، فلا بد من أن نفتح النوافذ كلها لنستقبل النور والهواء ، **على ان نرى النور باعيننا لا بأعين غيرنا ، وأن نتنفس الهواء برئتنا لا بالرئات التي تصنع لنا ، وأن نفتح النوافذ ونغلقها حين نريد نحن لا حين يراد لنا ، وعلى الصورة التي نختارها لا على الصورة التي تفرض علينا .**

وليس الأمر في التجديد مقتصرا على ألفاظ أو أخيلة أو معان أو أوزان أو قواف ، بل هو أبعد وأعمق . ان أساس الأمر هو مدى انسجام المنهج النفسي والاحساس الفني عند المجددين مع المنهج النفسي والاحساس الفني للأمة وروح تراثها . وان السؤال الذي يجب أن يسأل دائما هو : **هل هذا**

التجديد تطور اصيل نابع من وجدان الفرد والأمة ، متجاوب مع طبيعة حياتها وجوهر كيانها ، مواكب للمرحلة التى تمر فيها ، متطلع الى المستقبل الذى ترنو اليه ، متسق مع روح التراث ، معبر عن تجربة فنية ذاتية ؟ أو انه شيء لا تعرفه الأمة ، ولا تحس به ، ولا تتذوقه ، ولا تحتاج اليه ؟ شيء صنعه غيرها ، وكان عنده نتاجا طبيعيا فى بيئته لأنه نابع من ظروفه متطور عن مجتمعه ، فهو بذلك جزء من حضارته ، جزء من منهجه النفسى واحساسه الفنى ثم جاء منا من يقلده ويجتذبه ، دون أن يتمثله ويهضمه ، ودون أن يصبح جزءا من احساسه واحساس أمته .

وقد ختم الدكتور ناصر الدين الاسد بحثه القيم بقوله :

واذا كانت الصلة بين الأدب والحياة صلة وثيقة ، فان كل تجديد فى الأدب والفن عامة ، يجب أن يكون متسقا مع طبيعة حياة الأمة وروحها ، فالتطور فى الأدب ينبع من تطور المجتمع ، وحين يكون كذلك يكون فى الوقت نفسه عاملا من عوامل تطوير هذا المجتمع تطويرا سليما دون أن يفصله عن جذوره ، ويقطعه عن أصوله ، ويعريه من اصالته .



● ديوان « **قاب قوسين** » الذى صدر أخيرا للأستاذ **محمود حسن اسماعيل** ، من الاشياء القليلة التى تتصدى لنا فترغمنا على الاقرار بوجود الشعر **فى حياتنا الحاضرة .. الشعر الذى هو شعر ..** والذى يتمثل فى هذه الاشياء القليلة فقط .

ولى عودة الى الحديث عنه فى وقت أرجو أن يكون قريبا .

● **دعت جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة الى ندوة موضوعها « ادباؤنا فى مؤتمر الأدباء العرب » حضرها أحمد رامى وصالح جودت ومحمود حسن** اسماعيل والدكتور احمد الحوفى وروحية القلينى وشريفة فتحى وعباس خضر ، والقوا فيها قصائد وكلمات .

وقدم للندوة الاستاذ على الجمبلاطى المشرف على الندوات بالجمعية ، فعتب على الصحافة أنها لم تشر الى هذه الندوة برغم أنهم أرسلوا اليها بطاقة الدعوة .

ولو نظرنا الى اهتمام صحافة العراق بمؤتمر بغداد وقرناه باهمال صحافة القاهرة مجرد الاشارة الى هذه الندوة .. لخرجنا بنتيجة مؤسفة ..

● نظرت لجنة النشر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب فى رسالة وردت من طالب مستشرق فى المانيا الشرقية يطلب فيها موافاته بمراجع عن « قاسم أمين » كى يستوفى دراسة عنه وعن دعوته الى تحرير المرأة يعدها للحصول على درجة جامعية .

وقد تطوع الأستاذ محمد المعلم مدير دار القلم للنشر ، باهداء الكتب الخاصة بقاسم امين الى ذلك الطالب . كانت هذه أول جلسة يحضرها المعلم بعد تعيينه عضو بلجنة النشر .

● سمعت نقدا وجه الى مهرجان الشعر من حيث ان كل القصائد التى قيلت فيه كانت عن بغداد .. وان الشعراء اهملوا قضايا المجتمع العربى ! .

وحقا ان كل القصائد كانت عن بغداد ، ولكنها فى الوقت نفسه تعبر عن المجتمع العربى .. من خلال بغداد .. **كان ذلك اشارة الى الماضى واشادة بالحاضر ونشدانا للمستقبل .**

● استمعت صباح الخميس الماضى من اذاعة الشرق الأوسط برنامجا أطلق عليه « **اشتراكية الاسلام** » وليس فيه عن الاشتراكية الا صوت أم كلثوم يشدو بقول شوقى :

الاشتراكيون أنت امامهم
لولا دعاوى القوم والغلواء

وكل ما فى البرنامج عدا ذلك انما هو من موقف ابى بكر من تصديق رسول الله والمسارعة الى الايمان بما يقوله :

ان فى ذلك ـ الى ما فيه من تسمية الاشياء بغير أسمائها ـ دلالة على افتعال كان يمكن أن يحل محله الصدق بعرض مواقف اشتراكية حقيقية معروفة فى حياة أبى بكر .

« **عباس خضر** »

حول الأدب الزنجى

بقلم عبده بدوى

حول الأدب الأفريقى

كل عصر له فنه ..

واذا كان يقال ان هذا العصر هو عصر المسرحية او القصة، فان هذا لايمنع من القول بأن الافريقيين ـ على حد تعبير سارتر ـ من أهم العناصر التى تهتف بالشعر فى القرن العشرين .

وانا أعتقد انا فى حاجة الآن الى شعر ! !

فى حاجة الى أن نصغى ـ **وسط ضوضاء العصر** ـ الى قلب الانسان وهو يغنى بالنقاء والكمال على محور الكون ، وهو يتمزق ويقلق ويخاف على البشرية التى يحيطها بكل يديه ، وبكل نبضات قلبه وفنه .

واذا كنا قد اطلعنا على التجربة الشعرية للغرب، وانفعلنا بها الى حد القول بأنها شكلت بعضنا .. فانا بلا شك فى حاجة الآن الى تجربة جديدة فى الشعر .. فى حاجة الى « التجربة الافريقية » التى ستهز الانسان العربى ، لأنها تعاصر قضايا ومشكلات لم يفرغ منها بعد ، ولأنها لاتقدم البحيرات، والفرسان، والدوار والتمزق والغثيان.. وانما تقدم فيما تقدم حيرة الانسان البسيط الذى يراجه عالما غريبا عليه .

وأمل الانسان فى الوصول الى « جوهر نفسه » الحقيقى بعد أن غاب عنه هذا الجوهر فترة كبيرة من الزمن .

ثم ان الشعر الافريقى ليس هو التجارب الحاضرة فقط ، وانما هو الى جانب هذا « التذكر للوراثات » ، التى يقف الشاعر على قمتها بحيث تتكامل عضويا مع الحاضر .

ومهما يكن من شىء ، فالشعر الافريقى عالم كبير ، قد يشبه غابة من الغابات التى تعيش فى قلبه ، الا أنه يمكن تقريبه ـ فيما وراء الصحراء الكبرى ـ بوضع « **بطاقة** » صغيرة عليه تقول :

.. ان شعر الجنوب الافريقى يعتبر تسجيلا صادقا للحياة الافريقية التى يمارسها الافريقيون، وأنه يتميز بلون حاد يشبه نشيج الانسان حين ينخرط فى البكاء ، وحين يصل به القلق الى الخوف، ثم يتحول الخوف الى الحزن ، فالحزن قد يثرى النفس ، أما الخوف فيتركها أطلالا . واذا كان الخوف هو « الرحلة الرهيبة » ، فان الحزن هو

« عملية الوصول » ، وبين الرحلة والوصول تمزق الشعر الافريقي في مناطق الجنوب .

اما الشعر في الشرق فيتلون بالأحداث السياسية، والظروف البيئية ، وفيه يبكي الشاعر « الأرض » المنتزعة منه ، وينتظر لحظة « الحصول » على هذه الارض ، كما ذكر الشاعر الكبير « **اديامبو اوكيلو** »

« .. كل سكانك يابلادي في قلق
كل أرضك يابلادي خصبة
فمتى أملأ أرضك بحبي الذي يشبه السحاب
متى .. متى يا كينيا ! »
آه ياكينيا ؟
متى يصبح وجه الافريقي مضيئا كالياقوتة الحمراء
على أرض المعركة القادمة
متى .. متى ياكينيا ؟

فاذا انتقلنا الى منطقة الغرب،وجدنا الشعر مزدهرا ومتكاثفا وملتفا كغابة كبيرة محتشدة بالخضرة والعصافير والينابيع والناس ..

وقد يكون الفرق بين هذه المناطق هو الفرق بين الثقافتين الانجليزية والفرنسية ، وقد يكون الفرق بين طبيعة الاستعمار هنا والاستعمار هناك ، ولكن الذى لاشك فيه أن افريقيا اعطتنا شعرا خصبا وغزيرا وبخاصة في منطقة الغرب .

.. الذى يعنينا هنا في هذه العجالة هو أن تؤكد أن هذا الشعر قد التقط أنفاسه بعد الحرب العالمية الأولى ، واننا لكى نعطى لمسات سريعة عنه لابد من ترك القلم ، ثم الكتابة في هذا المجال « بالكاميرا » السريعة الخاطفة ، حتى يمكن التقاط بعض «النبض» الموجود في هذا الشعر .

.. فافريقيا تظهر في شعر بعض الشعراء .. « كفردوس مفقود » ، وكأغنية رومانسية تدور حول تذكر فترة مضيئة من العمر ، وحول عالم تطرزه أحلام الطيور ، وتضفره أشجار تفتح رموشها على ضوء يموت فوق النهر ، وحول تقاليد القبيلة ، وحول الطريق الذي يؤدى ـ مهما عاش الانسان في غربة ـ الى كوخ الوالد ، وروح الأسلاف ، ولعل « **ليوبولد سيدار سنغور** » رئيس جمهورية السنغال يوضح ما نريد أن توضحه .

« أشعل أيتها المرأة مصباحك أمام الأسلاف
فقد ذهبت الأطفال الى أسرتهم
والآن دعينا نسمع أصوات آبائنا
دعينا نسمعهم فهم لايريدون ـ رغم موتهم ـ أن يموتوا
لايريدون أن يتحللوا في أتربة غريبة
وفي الكوخ الملىء بالدخان تهمس الأرواح التى ترجو لنا الخير
هانا أنصت ـ ورأسى مستندة الى صدرك ـ
وهانا أتنسم رائحة موتانا
وهانا أسمع أصواتهم الحية
ومنها اتعلم كيف أعيش قبل أن أتهاوى

.. والشعراء الافريقيون متعانقون مع الطبيعة الى حد القول بانهم قد استوعبوا كافة أنفاسها !! والى حد القول بانهم مكونون من لحم وعظام ودم العالم الاخضر ، وأن الوجود ينتظمهم في دقاته ،كما ينتظم كل شيء فيه من حيوان ونبات وجماد .

فكل شيء تستقر فيه « بذرة الكون » والبذرة الموجودة في قلب الانسان هي اعمق هذه البذور ، ومن هنا يمكن ان نضع ايدينا على هذه البذرة في شعر « **جولس من** »

« .. عند شجرة الليمون تضيء لى السماء
وأرى أكواخنا تعشش في حب
بين أشجار الموز المشمسة
وحول النيران التى نوقدها
فكل شيء هنا يستقبل الانسان
يستقبل الانسان .. دائما .. دائما !
كم من طريق هنا يحف بالحياة ؟
كم من طريق هنا يصل الى القلب ؟
فمن مكاننا هنا في القمم المتوهجة
نشاهد كل شيء
كل شيء
حتى الخواطر في النفوس »

والشعراء الافريقيون جاءت عليهم فترة في الثلاثينيات ، رأيناهم في ضوء المصطلح الذى أطلق في هذه الفترة وهو « **الزنجية** » يتمردون على الحياة من حولهم ، ويحاولون تاكيد أنفسهم ، وهز قامتهم في مواجهة الحضارة الفرنسية ، ذلك لأن هذه الحضارةركزت على عريهم الحضارى، ولم تنظر اليهم الا من طرف عينيها ، ثم انها انتهت الى تسميتهم « العدم المطلق تحت الجلد الأسود » ، ثم انها أخيرا شدتهم شدا الى عالم « المنفى » .

وقد كان رد الفعل عن الافريقيين هو لحظة الرفض العميقة ـ كما سماها سارتر ـ وكان أن أخذوا في مقاومة هذه الموجة العاتية ، واخذوا يتجمعون كالقاف اللباب في مواجهة الرياح التى تهب عليهم ،

ومن خلال احساسهم بانهم «بروليتاريا البروليتاريا» ـ ايضاهم يكونون ارادة صلبة في مواجهة الحضارة الفرنسية ، ورايناهم يعملون على اعادة « **الجوهر النقى للذات السوداء** » ويلحون على كل ما هو افريقى ، وقد يصرخون أحيانا حين يجدون نبضاتهم الحارة تتمزق في كلمات فرنسا الباردة على حد تعبير احد شعرائهم .

وقد عبر « **سيزار** » عن مصطلح الزنجية بقوله :

« .. ان زنجيتى ليست صخرة ولكنها حمم
حمم اقذفه في وجه الصخب الذى يموج به النهار
ان زنجيتى ليست شريطا مصورا لمياه ميتة
أنشره أمام أعين الدنيا الميتة
ان زنجيتى ليست قلعة وليست كنيسة
ولكنها تتغلغل في طيات الأرض
وفي آفاق السماء الملتهبة ! »

وقريب من هذا قصيدة الشاعر « **اوماتو** » التى تتحدث عن « اله اسود » ، وتلك القصائد التى تتحدث عن ملائكة سود كالمداد الهندى ، وعن قديسين سود لايكفون هم الآخرون عن الترتيم !

والشعر الافريقى يهتم أشد الاهتمام « بالحاسة الفولكلورية » ، ويطوعها لشعره ، فهو يتحدث عن القمر الذى يظهر في السماء مائلا ، ويتساءل عن البطل الذى في امكانه الذهاب الى السماء ووضعه ثابت بدون ميل ..

ويتحدث عن الصديق الذى حين دعاه صديقه لغسل ظهره خبأ في يده شوكة ، وعن الصديق الذى حين طلب منه أن ينفخ في عين صديقه ، وضع في فمه الفلفل الأسود .

ومما لاشك فيه أن الشعر قد احتضن قضايا القارة السياسية ، وعبر أعمق التعبير عن سقوطها ، وصراعها ، وأملها في المستقبل ، وهو لم يعد يحبها كرؤيا غائمة ، ولكن كحقيقة تضم بين جوانبها المتناقضات فالشاعر الغنائى « **ميشيل دى اتانج** » يقول

« انا احب افريقية كما هى
افريقية الملكة أحبها بلا مزوقات
ذلك لأنها لؤلؤة العالم اليتيمة
قد يكون جمالها ليس أروع جمال في العالم
وقد تقصر مفاتنها عن المفاتن الأخرى
ولكنى أحبها
احبها كما هى ! »

وقد جاءت فترة تكلم عنها في صورة المستجدى كما في شعر (دى اتانج)

« رد الى افريقية مرة ثانية
بكل محاسنها
بكل مساوئها
ثم اتركنى حرا اخطط لها مستقبلها من جديد
معتمدا على تراث الماضى العريق
واضواء العلم الحديث
اعطنى هذه الأشياء
ومن افريقية التى ضاعت
ستنبثق افريقية ضخمة
افريقية العالم الجديد ! »

وقد نجد روح المطالبة بالثار عند « باتكول ربتر » في قوله :

« عشرات من السنين وابناؤك ينزفون الدماء
يا افريقية
ان عليك هذا الدين للمستعمر
ولان من رسالتك أن تؤدى هذا الدين
تؤديه للوحش كاملا »

وقد وجدنا بعضهم اخيرا يحتضن القارة ويغنى لها في حب ، ويتمنى ان يبنى لها قصرا كبيرا بحجمها ، وبعضهم يحتضن القارة ويربت عليها كأنها كانت في سفر ثم عادت !

.. وحين نتحدث عن الشعر الافريقى لا نغفل عناصر « التناغم والانسجام والايقاع » في هذا الشعر ، وبعبارة أخرى عن دور الموسيقى فيه !

وحين نرهف السمع نجد اعمال « سيزار » يتصاعد منها صوت الطبل الذى يستخدمه بوعى ، ولعل هذا يقرب لنا قول سنغور « ان الوزن هو هندسة الوجود ، والحركة الداخلية التى تمنح الشكل » وقول « بيتو جوبرينا » ان الشعر الافريقى في لغته الاصلية لا يخرج عن كونه شعرا يغنى بمصاحبة الآلات الموسيقية والطبول

فالافريقى في احتفالاته المتعددة ، وفي استقباله للحياة ، في عمله اليدوى .. لا ينسى الايقاع ، ومن هنا لا نراه ينتظر الآلة التى يعزف عليها ، وانما نراه يسارع فيحول كل شيء الى آلة ، بل ان المقياس الفنى عندهم هو تحول « ضارب الطبل » الى « الطبل » نفسه .. وعلى كل فهم يقولون :

« انصت الى الشعر مرتين
مرة من الشفاه

وعرة من الطبول »

ويقولون :

« ان المعانى لا تزال فى فم الشاعر وفى ذهن قارع الطبل »

ومن هنا نرى الشاعر النيجرى « جابريل اوكارا » يؤكد ان الطبلة تدق فى داخله ، ويذهب الى ان السمك والرجال والنساء ، قد رقصوا على دقات هذه الطبله ، ما عدا حبيبته التى تقف خلف الشجرة وتكتفى بالابتسام وهز الراس

بينما الطبلة التى كانت تدق بداخله ، كانت لا تسوق الأحياء الى الرقص فقط ، ولكن كانت تدفع الموتى كذلك الى الرقص !

والشاعر الافريقى يعبر بالصورة ، وان كان قد ذهب بعض النقاد الى ان هذه الصور بصرية ، ثم ان هناك اجماعا على انها نابعة من التجربة نفسها .

.. واخيرا قسم « جورج سانتيانا » فى كتابه « الاحساس بالجمال » الشعراء الى طبقتين : الموسيقيين والسيكولوجيين ، ولا شك أن الشعراء الافريقيين يمثلون الطبقة الاولى ، وانهم من انقى العناصر الآن التى تهتف بالشعر فى القرن العشرين.

• وبعد ..

فهذه كلمات خطفت خطفا من حديقة الشعر الافريقى الكبيرة ، وما نريد ان نقوله هنا هو ان هذا الشعر منجم كبير يمكن أن يجد فيه الانسان العربى اشواقه واحلامه ، بل يمكن ان يضع مصطلح « العربية » فى مقابل مصطلح « **الزنجية** » باعتبار أن كلا منهما يعبر عن الاصطدام الحضارى، ويحاول خلق اشكال ومضامين خاصة به ،ومعتمدة على تقاليده !

ان هناك من يقول بأن مدرسة « الزنجية » قد انتهت او خفتت ، ولكن هناك من يقول انها اسلوب حياة ، وقضية متجددة فى حياة الافريقيين ، ولعل هذا يسوقنا الى عملية الحصار التى تقوم بها الثقافة الأوربية ، وان هذا الحصار يجب أن يثقب بين الحين والحين بالثقافات الافرو اسيوية ، فلعل هذا يعين الكثير على « استنبات » كافة الفنون العربية الجديدة .

• لا صديق للزنوج !

مستوحاة من قصيدة للشاعر الافريقى ارمانو التى يقول فيها :

« لا اعلم صديقا للزنوج
سوى الأرض والسماء والعواصف
والامطار والبعوض !
ذلك لان الارض تراهم يسقطون كالتراب
ولان السماء تسمع صراخهم
وتنكر عليهم حقهم !
ولان العواصف تحمل أناتهم
ولا تستطيع اخفاءها
ولان الامطار تمتزج بدموعهم المستمرة
ولان البعوض لا ينكر ما امتص من دمهم
.. ليس من صديق للزنوج
سوى الارض ، والسماء والعواصف
والامطار ، والبعوض !!

ما لنا من صديق ... فى ذلك العالم
غير الثرى والسماء ... وريحها الظالم
وغير صوت البعوض ... واغنيات المطر
تقول .. لا مفر !
لا مفر ! لا مفر !!

فالارض تعرف دفننا ، ووجوهنا المستفهمه
والنار فى اعماقنا المنزوعه المتالمه
مو تد اقدم بوجهنا فى غير رفق مرسمه
ومضى يدحرج يومنا بين العجاج المظلمه !
والافق ثم رنت به اصداؤنا المتناغمه
دمت عليه دموعنا ، ودماؤنا المترحمه
فدا به فى صمته تقبر يحرس جمجمه
اراه يتحر ان نسائل ربنا فى مظلمه !
والريح ليست تنكر العشش الرطاب المعتمه
تمشى .. فتخشى أن تفل على الجروح المضرمه
هبت ، وجاشت ، ثم زلزلت العرى المتهدمه
لكنها رقت امام عيون طفل حالمه !
بينا نجوع نرى البعوض يهز فينا موسمه
ما جاء من عرق الحياة يريقه فى غمغمه
يمتصه فى خطفة ، فى نقرة فى دمدمه
فنرى به أيامنا ، وحياتنا المتلعثمه
ونحس فى المطر الحياة تضىء .. تورق نمنمه
ونحبه فعليه دمع حياتنا المتهدمه
يهتز بالحزن العميق الى المراعى القاتمه
فاذا بهذا الحزن أخضر .. فى الروابى الملهمه
واذا بنا ـ والصمت يفرقنا ـ ذرى مستسلمه

ما لنا من صديق ... فى ذلك العالم
غير الثرى والسماء ... وريحها الظالم
وغير صوت البعوض ... واغنيات المطر
تقول .. لا مفر !
لا مفر ! لا مفر ! »

« عبده بدوى »



بين إسحق نيوتن وأبى البركات هبة الله بن ملكا

بقلم : أحمد سعيد الدمرداش

تمهيد : استطاع الاستعمار لمدى قرون طويلة ان يغزو الشرق ثقافيا ، لكى يبتره عن ماضيه ، ويقصيه عن امجاده الفكرية والعلمية ، فما زالت مدارسنا ومعاهدنا تعيش فى عزلة رهيبة عن تراثنا العلمى ، بل فى جامعاتنا من يتندر بهذا التراث ، كأنه جدث من الأجداث ، تنفيذا غير مباشر لسياسة بعيدة المدى كان قد رسم خطوطها دنلوب البريطانى مستشار وزارة المعارف منذ خمسين عاما ، حيث ارسل البعوث الى انجلترا ليرتشف الدارسون حساء بريطانيا لايحتوى على عناصر شرقية اسلامية ، بل سداه اغفال التراث العلمى العربى ، وتشويه مفاهيمه ان كانت بهم حاجة الى ذكره .

ثم عاد الدارسون وهم انصاف علماء ، يلقنون النشء فى تعاقب زمنى ماحفظوه هناك من سنوات ، وتكون لدينا جيل يمسك بيده مقاليد التعليم ، بل هو الذى يضع مناهج العلم وأبوابه ، وهو الذى يطرحها فى مسابقات ، بل هو الذى يبت فى صلاحية الكتب التى تؤلف طبقا لهذه المناهج .

جريرة علماء العرب الأقدمين انهم ماكانت لهم فئة ينصرونهم من دون علماء اوروبا ، والقائمون على التعليم عندنا يترجمون كتب الغرب دون سابق الملم بالتيارات الحضارية فى شتى العلوم، ودون وعى قومى للحضارة العربية ومدى ما اضافته الى العرفان المتراكم ،وجريرة علماء العرب ايضا ان الذين يقررون صلاحية هذه الكتب المدرسية يحملون القابا حصلوا عليها من جامعات الغرب فى سهولة ويسر ، ليكونوا لها عونا غير مباشر لنشر الافكار التى تنكر تأثير التراث الاسلامى فى نهضة اوروبا ، القابا تنفخم حين تعود الى ارض الوطن ، ولكنها فى نظر جامعات الغرب كالهر يحكى انتفاخا صولة الأسد !!

وبين ايدينا كتاب [illegible] الذى توزعه وزارة التربيةوالتعليم على تلاميذها فى الصف الثالث الثانوى ، الفه حفنة من اساتذة الجامعات بمصر ، يذكرون فى مقدمته مايلى :ـ

« ولقد ادرك الأغريق منذ القرن الثالث قبل الميلاد قانون الرافعة ، وقاعدة الاجسام الطافية المسماة بقاعدة أرشميدس ، ولكن الفضل الأكبر فى تقدم علم الميكانيكا يعود فى الحقيقة الى عالمين كبيرين ، احدهما هو جاليليو جاليلى (١٥٦٤ ـ ١٦٤٢) الذى بين ان التجربة هى الأساس الذى يجب ان ترسى عليه القواعد العلمية ، وصحح بالتجربة الاعتقاد الذى ساد منذ ايام ارسطو من أن الاجسام الثقيلة تكون اسرع فى سقوطها نحو الارض من الاجسام الخفيفة ، كما حقق بالمنظار الذى اخترعه ، مانادى به كوبرنيكس من قبله من ان الشمس هى مركز المجموعة الشمسية ، وان الارض والكواكب تدور حولها .

أما العالم الثانى فهو السير « اسحاق نيوتن » (١٦٤٣ ـ ١٧٢٧) الذى يعود اليه الفضل فى لم شعث القواعد التى تخضع لها الأجسام فى حركتها ، فصاغها فى قوانين ثلاثة ، سميت بقوانين الحركة لنيوتن ، وظلت هذه القوانين اساسا لعلم الميكانيكا حتى عهد قريب »

هذه المقدمة لاتفترق فى شئ عن اى مقدمة اخرى يستهل بها مؤلف اوروبى كتابا او مقالا ، بل قد يوجد من بين هؤلاء الكتاب فريق لديه مسحة من ضمير ، فيشير الى العلم العربى فى بضعة من سطور ، اما اساتذتنا سامحهم الله ، فاقلامهم يتعثر مدادها عند ذكر تراث العرب العلمى،تعاليا ، بل تغافلا متعمدا : اعن جهل ياقوم ؟ ام على قلوب اقفالها !

الم يصل الى اسماعهم كتاب المعتبر الذى الفه العالم العراقى اوحد الزمان هبة الله بن على بن ملكا ، ابو البركات (١٠٨٧ ـ ١١٦٥ م) ، طبيب من سكان العراق ، عرفه الظهير البيهقى فيلسوف العراقين ، وقال : ادعى انه نال رتبة ارسطو ، وكان يهوديا ثم اسلم فى آخر عهده ، وكان فى خدمة المستنجد بالله العباسى ، وحظى عنده ، واتهمه السلطان محمد بن ملكشاه انه اساء علاجه فحبسه مدة ، وتوفى بهمزان عن نحو ثمانين سنة !

لقد سبق هذا العالم العراقى العالم الايطالى جاليليو فخر النهضة الاوروبية بخمسمائة عام ، علما وزمنا وتجربة ، ففى الفصل الرابع عشر من كتابه المعتبر يقول بلفظه مانصه :ـ

« لو تحركت الأجسام فى الخلاء لتساوت حركة الثقيل والخفيف

والكبير والصغير ، والمخروط المتحرك على راسه الحاد ، والمخروط المتحرك على قاعدته الواسعة فى السرعة والبطء ، لانها انما تختلف فى الملاء بهذه الأشياء بسهولة خرقها لما تخرقه من المقاوم المخروق ، كالماء والهواء وغيره ، فان المخروط المتحرك على راسه يخرق اسهل من المتحرك على قاعدته ، ولا مخروق فى الخلاء ، ولا مقاوم فتتساوى الحركات فيه فى الزمان »

وابن سينا قد درس الحركة من اسفل الى اعلا فيقول :

« واما مايعترى الاجسام الصغيرة مثل الخردلة ومثل التبنة ، ومثل نحاتة الخشب من انها لاتنفذ عند الرمى فى الهواء نفوذ الثقيل ، فليس السبب فيه ان الأثقل اقبل للرمى والجر ، بل لان بعض هذه لصغرها لاتقبل من الدافع قوة محركة لها ، ولما يليها تبلغ من شدتها انها تقدر بها على خرق الهواء ، ومع ذلك فتكون ، اى قوة حركتها ، سريعة الاستحالة الى البطلان من السبب الذى يعرف فى موضعه » ثم يستطرد

« وبعضها (اى بعض تلك الأجسام) يكون متخلخلا لايقدر على خرق الهواء ، بل يداخله الهواء الذى ينفذ فيه ، ويكون سببا لابطال قوته المستفادة ، فانك ستعلم ان مقاومة النفوذ فيه هو المبطل للقوة المحركة » ثم قال

« لو كان السبب فى قبول الرمى الانفذ هو الكبر ، وزيادة الثقل لكان كلما ازداد ثقلا وكبرا كان اقبل للرمى ، والأمر بخلاف ذلك ، بل لو اعتبر الثقل والخفة ، ولم تعتبر اسباب اخرى كان الأقل مقدارا اقبل للتحريك واسرع حركة ، فتكون نسبة مساواة المتحركات بالقسر ولها ميل طبيعى ، ونسبة ازمنتها على نسب الميل الى الميل ، لكن النسبة فى المسافات بعكس النسبة فى الأزمنة ، اما فى المسافات فيكون الأقل ميلا اطول مسافة ، واما فى الزمان فيكون ذلك اقصر زمانا »

يا قوم !! لماذا تهملون كل هذه الحقائق ، ولا تلفتون النشء هذه الأصول ولو باشارة عابرة حتى لا تتكون عقدا فى نفوسهم ؟ تبتدئون بالاغريق كما يفعل كتاب الغرب ، ثم تقفزون الى عصر التنوير باوروبا ، كأن هناك فجوة من ظلام دامس قد غلفت العصر الاسلامى برمته ، منذ ان ابتدا الى ان احتضر فى عصر النهضة ؟

نيوتن وقوانين الحركة :

يقولون ان الاغريق لم يدرسوا من علم الميكانيكا سوى قوانين الروافع ، وقاعدة الأجسام الطافية ، ولكنهم مادروا ان ارسطو قد عنى فى دراسته لعلم الطبيعة بالحركة حيث عرفها بانها كمال اول لما بالقوة من جهة ماهو بالقوة ، تجدون ذلك فى كتابه لعلم الطبيعة الذى ترجمه من الاغريقية الى الفرنسية العالم بارتلمى سانتهلير ، ثم عربه المرحوم احمد لطفى السيد ، وتجدون ايضا انه درس الحركة المكانية او حركة النقلة ، وهى التى ينتقل بها المتحرك من مكان الى مكان ، ومنها الحركة الوضعية وهى التى تتبدل بها اوضاع المتحرك وتنتقل اجزاؤه فى اجزاء مكانه ولا تخرطه عن جملة مكانه .

ثم درس العلماء العرب نظرية الحركة بكافة أنواعها وزاد عليها ابن سينا الحركة الدورانية ، اما ابو البركات هبة الله فيقول عنها فى كتابه المعتبر ما نصه :

« واعلم ان الحركة تتم بستة اشياء ، وهى المحرك والمتحرك ، وما منه ، وما اليه ، وما فيه كالمسافة التى فيها الحركة والزمان ، فاما ما منه وما اليه وما فيه فهو من مقومات المفهوم والزمان لازم فى الذهن او داخل فى تقويم المفهوم ، وكذلك المتحرك ، واما المحرك وانه غير المتحرك فانه يفتقر الى بيان »

ثم اثبت بعد ذلك ان المحرك لكل متحرك غير المتحرك ، بمعنى ان المتحرك هو جسم او جوهر لايتحرك من تلقاء نفسه ، بل يلزمه محرك او قوة قسرية تدافعه فى زمان ، ثم ينتقل الى الحركة فى الخلاء حيث لاتوجد مقاومة تعوق الحركة الجسمانية فيقول :

« وان كانت (اى حركة الجسم المقذوف فى الخلاء) فلا يقف المتحرك ابدا لانه لايكون اولى بالوقوف فى موضع منه دون موضع ، واذا كانت الحركة فى الخلاء لم تبطل القوة المكتسبة فى الرمى ، التى حلقت قوة الرامى ، لانها تبطل فى الملاء بما يلقاها من مقاومة المخروق فيضعفها اولا فاولا ، حتى يبطلها ، واذن لامقاومة فى الخلاء ، فالرمى فيه لاتلقى قوته مايبطلها ، وهى فلا تبطل بنفسها لان الشيء لايبطل ذاته ، واذ لامقاومة فى الخلاء فالرمى فيه يتحرك ابدا »

كلام واضح لا لبس فيه ، ولكنه باسلوب الفيلسوف المتعمق ، اخرجه اسحاق نيوتن باسلوب مغاير حيث صاغه فى قانون كالآتى :

« كل جسم يحتفظ بحالته من سكون او حركة منتظمة فى خط مستقيم ما لم تؤثر عليه قوة خارجية » .

اودعه نيوتن كتابه « البرنسيبيا » على انه لفتة من عبقريته وسماه القانون الاول للحركة .

قال ابو البركات ان المتحرك يبقى ساكنا ما لم يصادفه محرك ، وان المتحرك فى الخلاء يبقى دائما متحركا لعدم وجود قوة قسرية خارجية ، وتفكيره يتحقق الآن فى السفينة التى يحاول علماء القرن العشرين الآن بناءها للسفر الى المريخ وغيره من الكواكب اذا بعدت عن نطاق الجاذبية .

والذى اضافه نيوتن الى العلم الغربى فى الحركة ، انها تسير منتظمة فى خط مستقيم

وينتقل ابو البركات الى اثبات ان بين كل حركتين متضادتين سكونا ، فقال فى الفصل الرابع والعشرين من كتابه المعتبر ما نصه :

« قال افلاطون من توهم ان بين حركة الحجر علوا ، المستكرهة بالتحليق وبين انحطاطه وقفة فقد اخطا ، وانما تضعف القوة المستكرهة له ، وتقوى قوة ثقله ، فتصغر الحركة ، وتخفى حركته على الطرف ، فيتوهم انه ساكن ، واقول انه لما صار القول بالسكون بين الحركتين المتضادتين لهذا السبب المتوهم رايا لقائل لم يذكر حجته وسمعه من غيره مع ما غيره واوهمه حسن رايه ، فى ذلك القائل فاراد اتباعه ونصرة قوله تعمل له حججا ، ولفق له ادلة وطول الكلام فيها ودققه حتى ضجر السامعون مع حسن ظنهم فلم يتبعوه .

ثم اخذ يتابع الشرح فى الميل القسرى الثانى من حركة القذف

الى اعلا ، والميل الطبيعي الثاني من الجاذبية الارضية ، فعند تعادل الميلين تقف حركة المقذوف ، والميلين موجــودان فعلا ويتعادلان عند نقطة السكون ، وهو يشبه ذلك بالحلقة المتجاذبة بين المصارعين فيقول :

« الا ترى ان الحلقة المتجاذبة بين المصارعين لكل واحد من المتجاذبين فى جذبها قوة مقاومة بقوة الآخــر ، وليس اذا غلب احدهما فجذبها نحوه تكون قد خلت منه قوة جذب الآخر ، بل تلك القوة موجودة مقهورة ، فلولاها لما احتاج الآخر الى كل ذلك الجذب ، فكذلك الحجر المقذوف فيه ميل مقاوم للميل القاذف ، الا أنه مقهور بقوة القاذف ، ولان القوة القاسرة عرضية فيه فهى تضعف لمقاومة هذه القوة » .

بديهيات نادى بها أبو البركات فى القرن الثانى عشر الميلادى، وقام اسحق نيوتن بتخريجها فى القرن الثامن عشر باسم القانون الثالث هكذا :

« لكل فعل رد فعل يساويه فى المقدار ويضاده فى الاتجاه » .

والمقصود الذى اراده بكلمة الفعل هنا هو القوة التى يؤثر بها جسم على جسم آخر ، فاذا اثر احدهما على الآخر بقوة ما ، فان الجسم الآخر يؤثر بدوره على الجسم الاول بقوة تساوى القوة الاولى فى المقدار وتضادها فى الاتجاه ، وتسمى هذه القوة « برد الفعل » تماما كما حدث فى مثال الحلقة التى يجذبها المصارعون والتى ذكرها ابو البركات العالم العراقى .

يا قوم !! ان كل حضارة ظهرت على مسرح الزمان الوجودى قد اضافت لبنات الى العرفان المتراكم ، ولم يظهر نيوتن فجأة كنبى ملهم تفيض عليه المعرفة عن طريق الاشراق كما يقــول المتصوفة ، بل سبقته حضارات وعلوم نقلت الى اللاتينية وكانت تدرس فى جامعة كمبردج التى كان نيوتن طالبا بها ، وكان يقوم بتدريسها له الاستاذ « باروز » . كانت تدرس علوم العرب كنقطة انطلاق لعصر التنوير الفكرى فى نهضة اوروبا ، ومنهــا مسالة الحسن بن الهيثم أو كما كانوا يقـولون « الهــازن » تدرس ضمن علوم الطبيعيات .

عيب علماء العرب انهم كانوا يفلسفون الطبيعيات على غرار علماء الكلام . وقد شبكوها معا ، وميزة علماء النهضة امثــال ديكارت ونيوتن وليبتز انهم اخرجوها بطرق رياضية مبسطة ، وجعلوا منها علوما متفرعة قائمة بذاتها ، ان الحقائق العلميـة لا تخرج من الذهن البشرى تباعا فى زمن ما ، ولا تستخلص صرفة نقية ، بل تستغرق قرونا وحقبا تتضافر فى اكتشافها على التعاقب عقول صفوة المفكرين من بنى البشر .

انطلق علماء العــرب فى الطبيعيــات من حيث انتهى علماء الاغريق ، وحدثت يقظة الفكر الاوروبى من حيث انتهى مجهود انطلاقة الفكر العربى ، فكافئهم بذلك قرونا .

لقد احسنت وزارة العلاقات الخارجية حين ازمعت انشاء معهد يتلقى فيه المدرسون المبعوثون الى البلاد العربية لتدريس العلوم الحديثة ، يتلقون فيه تدريبا على يد المختصين فى التراث العلمى العربى ، وانا لنرجو ان يكون اختيارها لاساتذة هذا المعهد ممن اشربوا هذا التراث عن ايمان وعقيدة .

احمد سعيد الدمرداش

« بقية المنشورة على صفحة ٣٧ »

سـعدية : ومن تكونون حتى تخربوا بيت الاستاذ عبد الواسع بلعوم كله !

ابو الديوك : هل لكم أن تخبرونى بأى صفة جئتم ؟

الكهل : بصفتنا اعضاء فى مجلس ادارة الفرقة المسرحية بدمنهور ...

سـعدية : لاتصدقهم . انهم ليسوا من دمنهور . لقد لمهم الاستاذ مرغنى من قدام المحكمة وجاء بهم

الوفـد : من قدام المحكمة ؟! .

سـعدية : كل واحد بنصف ريال

الوفـد : (فى غضب) أتسكتون هذه السيدة أم نسكتها نحن ؟

ابو الديوك : من فضلك يامدام . دعينا نتكلم . أهلا وسـهلا ياجماعة . قولوا الآن ماعندكم

الكهل : كيف تبعثون الينا تلك المسرحية الساقطة ؟ بأى حق تقتلون فرقتنا الناشئة ؟

ابو الديوك : ولماذا قبلتموها ؟ لم لم ترفضوها ؟

الكهل : ماكنا ندرى أنها بهذه الدرجة من السوء . لقد سميتموها مسرحية الموسم وأرسلتموها الينا من القاهرة وأرسلتم معها المخرج وكانت الصحف تطنطن بمدحها ومدح مؤلفها العبقرى الجـديد فانى يخطر على بالنا انها بهذه التفاهة ؟

سـعدية : تفاهة ؟ كيف اذن نجحت عندكم ذلك النجـاح الهائل فى دمنهور ؟

الوفـد : نجاح ؟ أى نجاح

ابو الديوك : الصحف كلها نوهت بالنجاح الكبير ليلة الافتتاح

الوفد : ليلة الافتتاح ؟ هذه كانت ليلة الافتضاح !

ابو الديوك : كل الصحف قالت ان المشرفين على الحفلة اضطروا الى الاستعانة برجال الشرطة لحفظ النظام لأن الناس تزاحموا على شباك التذاكر ثم هجموا على الصالة بعدما نفدت التذاكر من الشباك .

الكهل : هذا هو التهويش والتضليل . اننا ما جئنا برجال الشرطة لهذا السبب

ابو الديوك : فلأى شىء اذن ؟

الكهل : جئنا بهم لكى يهددوا المتفرجين فى الصـالة الا يتحركوا من مقاعدهم فيها والا فلا يلومون الا أنفسهم .

مرغنى : ويا ترى قعد المتفرجون الى النهاية ؟

الكهل : معلوم قعدوا خوفا على حياتهـم ولكنهم اداروا وجوههم الى باب الصالة وظهورهم الى خشـبة المسرح وهم يرددون . عبس . عبس . عبس

مرغنى : (يصيح فى جزل وهو يقهقه قهقهة عالية) عظيم عظيم عظيم

« ستار »

(الفصل الثانى)

« على احمد باكثير »

واذا كانت حركتنا العربية الواحدة ـ تدعو الى وحدة عربية شاملة ـ فهى لاتعنى اطلاقا وحدة عنصرية ـ او ارستقراطية عربية منعزلة عن حركة العالم الاسلامى . وحركتنا العربية الواحدة ، بمضمونها الانسانى وتركيزها على الدعوة والعمل من اجل تشييد عالم يسوده سلام قائم على العدل تشجب كل محاولة للضغط أو النيل من حركة اى شعب يناضل من اجل استقلاله وحريته .. ماوسعها السبيل الى ذلك سواء بالتأييد المادى او المعنوى ..

اما عن نوع الايديولوجية العقائدية التى تحكم سلوك المواطن العربى الفرد فى وطننا العربى الموحد .. فلا يسعنا هنا الا ان نستعير رأى المؤلف فى هذا الشأن ..

يقول الكتاب صفحة ١٦ ، ١٧ :

«لابد من تقديم «ايديولوجية اسلامية معاصرة» فالعالم اليوم تسوده حرب الافكار . ولابد من ان تكون لهذه الايديولوجية المرونة التى تستطيع أن تعطى حلولا اسلامية لكافة مايدور فى العصر ، كما انه لابد ان تبدو «مقنعة» للذين يعتنقونها . ومعنى هذا مضاعفة الجهد ، والنزول بالدين الى الحياة بعد ان تنحى الكسل ، وعدم النزول به فى معارك العقل والاجتهاد من الذين ينطقون باسمه .

والاسلام لايعارض فى اقامة الدولة العلمانية ، بل انه يدعو اليها ، ثم انه لايفصل الحياة عن الدين وهو اخيرا يستطيع ان يقدم « وجهة نظر عصرية » فى كافة مايجد على الحياة ، فقد نظر للانسان على انه حارس للحياة ، وأنه مطالب بالعمل ، وانه محتاج الى المتعة ، وان الحرية قوته ، والاندماج فى الجماعة سلاحه .

ويقول المؤلف :

ولعل هذا يلقى علينا العبء فى استخراج كنوزه ، وفى البحث الذكى الدائم فى حركة الحياة وحركة الدين .

انه اذا كان هناك عيب فسيكون فينا نحن ، أما الاسلام فسيظل «جوهره الحق والسعادة» التى لا تنال بالدروشة ، والهمهمة ، والسطحية ، وانما بالمعاناة والتنقيب ، والربط الدائم بالحياة .

وقبل ان ندخل فى موضوع كتاب اليوم يجدر بنا ان نلقى نظرة عابرة على كتاب المؤلف « دول اسلامية فى الشمال الافريقى » .. لان حركة الاسلام الدينية والحضارية فى افريقيا كانت من التشابك والتلاقى فى بعض الاحيان بالدرجة التى يمكننا بها القول انها اتفقت جميعها فى نشر الاسلام وتدعيمه او كما يقول المؤلف : «ان احدا لاينكر تلك الوحدة» التى حققها الاسلام للقبائل ، وكيف انه احدث نوعا من الرخاء بسبب التجارة وفتح الأسواق ، ولقد اهتم فى كل مكان حل فيه بالقراءة والكتابة والنظافة النفسية والجسمية ، كما انه ابطل شرب الخمر ، وأكل لحوم البشر ، والاخذ بالثأر .. بالاضافة الى انه دعا الى احترام الذات واحترام الحياة ، وحقق نوعا من الانسجام بين الانسان ونفسه ، وبينه وبين مجتمعه ، وبين المجتمع والعالم لله . ومن هنا اعطى الافريقى الاحساس بالكرامة، وانه مسئول عن العالم .

فالرستميون فى المغرب الادنى « تونس » استطاعوا ان يعطوا الناس حق الاحتجاج على الدولة وأعلنوا أن الحياة معركة متصلة ، وان على الانسان ان يدخل مع مجتمعه فى معارك حتى يتحقق ما تمكن تسميته بمصالحة الانسان مع مجتمعه وبهذا يمكن وضعهم فى صفوف «الثوريين» لا المصلحين بلغة العصر . ودولة الادارسة التى استطاعت ان توحد القبائل المتنافرة تحت رايتها واستطاعت ان ترجح قوى الشيعة وافكارها كما نجحت فى دفع الاسلام الى مساحات كبيرة من الشمال الافريقى وجنوبه ، وان تؤكد فى الوقت نفسه للعروبة فى هذه البلاد ـ والاغالبة الذين نشروا الاسلام فى صقلية والذين فرضوا وصايتهم على المنافسة التى كانت بين اللمبارديين فى ايطاليا عام ٨٣٧ هذا علاوة على نفوذهم فى جنوب ايطاليا مما حمل البابا يوحنا الثامن على ان يستمر فى دفع الجزية للمسلمين .

والمرابطين الذين لايقف دورهم الحقيقى عند حد توحيد المغرب ، وربط أسبانيا وكثير من المساحات الافريقية ، وانما يتعدى كل هذا الى شل نفوذ ايطاليا البحرى والى عدم قيام حروب صليبية فى المغرب كتلك التى قامت فى المشرق .

واذا كان المرابطون قد وقفوا عند النصوص الاسلامية فى التشريع والتقاليد المتوارثة فى التصوف ، والاخذ بمذهب الامام مالك فان الموحدين كانوا يمثلون طبقة متحررة من طبقات التحرر فى الفكر الاسلامى وكان لهم دورهم المجيد فى خدمة الاسلام فى افريقيا واسبانيا . هذا خلاف المرنيين والحفصيين والصنهاجيين والمغراويين

والسعديين والعلويين أو الفلاليين ثم السنوسيين .. ولكل طائفة من هؤلاء ودولهم التى اقاموها دورها العظيم فى رفع راية الاسلام فى الشمال الافريقى ودفعه دفعا من الشمال الى الوسط والغرب • وينتقل المؤلف بعد ذلك الى الرد على بعض الافتراءات التى يتقول بها البعض على طبيعة انتشار الاسلام فى افريقية فيقول فى كتاب « دول اسلامية فى افريقية» .

« لقد حاول البعض أن يربط بين ظاهرة الانتشار الاسلامى والسماح بالتزوج من اكثر من واحدة ، ولكن يرد عليه ان المسيحية فى بعض المناطق فى افريقية سمحت بهذا ، بل لم تقف بالعدد عند اربع، ومع هذا لم يتحقق ما تريده ! ومهما يكن من شئ فان عملية التقدم المستمر ترد على هؤلاء الذين حاولوا ان يضعوا على الاسلام «بطاقة» تقول انه دين تحل ، وانه دين سيف ، وانه دين الصحراء فى الاصل ، والسهول فى الفرع ، وانه من الاجهاد بحيث لا يستطيع التسلق بالمرتفعات فى اى مكان توجد فيه هذه المرتفعات ـ ناهيك عن مناطق «السفانا والغابة» .

ونحن نجد الحقائق تعارض كل هذه الدعاوى فنجد أن الاسلام فى افريقية قد اكتسح السهل ، وتعلق بالمرتفعات • صحيح ان تغطيته للصحراء والسهول كانت جارفة ، ولكن هذا يرجع الى تلك القبائل البدوية التى كانت تغطى هذه المناطق، والتى تمثل مثلا فى الشرق: البجة، والدناقلة والصومالين والمهاجرين القدماء من الاسيويين .

وفى الوقت نفسه نرى الاسلام يتعلق بالمرتفعات فى اثيوبيا .

وفى ضوء هذا رأينا الوجه الصومالى، والزنجبارى مسلما تماما ، أما الحبشة وكينيا وتنجانيقا وكذلك اوغندا فى الداخل فلم تحتفظ الا ببعض الملامح الاسلامية ، ذلك لان القوى المسيحية فى المنطقة استندت على القوى البرتغالية المسلحة ، أما القوى المسلمة فقد استندت استنادا عاطفيا على مصر وتركيا .

ومع هذا فمن المقرر ان الاسلام لم ينتشر تماما حين شهر السيف ، ولكن حين رفرف السلام على المنطقة أخذ الاسلام يمد اجنحته على الشرق • ثم يتغلغل بهذه الاجنحة الى الداخل بحيث اصبح حقيقة مقررة تصل ما بين موزمبيق وسفاله ، ونياسالاند ، وهضبة البحيرات واوغنده ، وكينيا ، والكونغو ، بالاضافة الى تنجانيقا ، وهكذا كانت المساجد تلف هذه المناطق لفا فى القرن الثامن عشر •

بحيث اصبح مما لاشك فيه انالاسلام قد انتشر بالسلام اكثر مما انتشر بالمعارك المتلاحمة خلال اربعة قرون، لفت المنطقة بغبارها وتوترها، بالصراع الذى لم يكن يهدأ ليثور من جديد .

وينتقل المؤلف بعد ذلك الى الدراسة التطبيقية للدول الاسلامية فى افريقيا .

وبعد ان يذكر الهجرات العربية المتتالية الى شرق افريقيا مثل هجرة سليمان وسعيد ابنى عباد الجلندى عام ٦٩٥م وهجرة الطائفة الزيدية عام ٧٣٩م ـ ١٢٢هـ ثم هجرة بنى نبهان من عمان وغيرها من الهجرات ، وعن قبائل الفونج الذين ينتسبون الى بنى امية والذين استطاعوا ان يتجمعوا كظاهرة سياسية فى جنوب غرب اريتريا ـ يتحدث الكتاب فى ص ٣١ قائلا :

« على انهم بعد نزولهم الى السودان لم يقفوا كظاهرة منعزلة ، أو تطبعه تتعالى على الناس وانما نراهم يسارعون فيندمجون فى الوطنيين ، ثم يتحدثون اليهم فى حب عنالاسلام ويقدمون لهمسلوكا عمليا عن « المواطن المسلم الجديد » فى علاقاته بربه، وبالناس من حوله ، لم يتقدمون خطوة أخرى حين يطلبون منهم المصاهرة » .

وكنتيجة لاختلاط الدماء وعمق الاحساس الدينى واعتداء بحقائقه التى عرفوا منها فى ضوء الاسلام ـ تامين الطرق التجارية الى حوض النيل الأورق . وتجميع القوى المشتتة للعروبة التى تغطى مساحات كبيرة فى هذه المنطقة وعلى جوانبها حتى يستطيعوا تامين انفسهم من الحبشة ان أرادت بهم شرا ومن مملكة « علوة » السودانية ان ارادت أن تتحرك باسم المسيحية .

وقد ادى كل هذا الى الحلف الذى قام بين الفونج

بزعامة « عمارة دونقس » وبين « عبدالله جماع » شيخ العبدلاب الذى كان من ثمرته التحرك ثم الاصطدام باهل علوه فى موقعة « اربجى » ثم دخول العاصمة « سوبا » ثم الاستيلاء على عاصمة مملكة المقرة المسيحية واقامة العبدلاب بها ٠

ومن الدول الاسلامية التى كان لها دور كبير فى نشر الاسلام فى السودان دولة « الفور » التى تطلق الآن على مديرية دارفور . ونتيجة لهجرة قبائل التنجور الى هذه المنطقة من تونس تحت ضغط زحف الهلالية وحلفائها فى الشمال ومعهم الداعية العربى الاسلامى الكبير « احمد المعقور » انتشر الاسلام فى هذه المنطقة وتدعم وجوده وانتشاره بتوافد قبائل عربية كبيرة مثل الهبانية والرزيقات، والمسيرية ، و لتعايشية ، والمعالبة ، والحمر ، والزيادية والماهرية ، والمحاميد ، وبنى حميد ٠٠ وقد اهتمت دولة دارفور الاسلامية بالتعليم فارسلت ابناءها الى مصر لتلقى العلم فى الأزهر ، حتى لقد اصبح لهم لكثرة عددهم رواق يسمى رواق « دارفور » ٠٠ ص ٣١

وتعتبر تقلى احد زوايا المثلث الاسلامى الذى قام فى السودان ٠ ويرجع الفضل فى ذلك الى هجرة ـ زاهد جعلى حوالى ١٥٣٠ الى ربوعها ، وفى عهد ابنه « جيلى أبو جريدة » انتشر الاسلام الى ما وراء جبال النوبة ، وذلك بعد زحوف كبيرة من القبائل العربية الى هذه المنطقة التى تتكون من الجعليين ، والبديرية ، والجوامعة ، والكواهلة ، وكنانة . ص ٣٤ وشهد القرن الثامن الميلادى ميلاد دولة قوية فى منطقة المراعى بين النيل والنيجر وتقع تماما فى الشمال الشرقى من بحيرة تشاد٠٠ وعلى الرغم من هجرة كثير من القبائل العربية الى هذه البقعة فان قمة هذه الهجرات كانت هجرة الأسر السيفية التى تنتسب الى « سيف بن ذى يزن » واستطاعت الوقوف على قمة الأحداث هناك ، وان تنتهج اسلوبا جديدا من أساليب الحكم ، يتمثل فى تجميع الحكم فى يد مجلس شورى مكون من اثنى عشر شخصا من الأسرة الحاكمة، ثم يرفع المجلس هذه القضايا بدوره الى السلطان ص ٤١ ٠

وقد استطاع الداعية الاسلامى « عبدالله بن ياسين » ان ينشر الاسلام فى الممالك الزنجية وخاصة منطقة غانة التى تقع بين اعالى نهر النيجر ونهر السنغال ، وأقبل الوطنيون على الدخول فى الاسلام وأصبحت المساجد كالاعلام التى تتقدم دائما،والتى تمثل فى الوقت ذاته الحدود السياسية لتقدم الاسلام فى افريقية . وما أسرع ما كان يحتل الاسلام النفوس قبل الأرض بسماحته وبساطته وملاءمته لاحتياجات الانسان الافريقى ص ٤٨ ٠

وبعد أن يشرح المؤلف كيفية انتشار الاسلام فى «مالى» يخرج الى القول بان البربر قد أدوا للاسلام خدمات جليلة حيث قاموا بنشر الاسلام واوصلوه الى قلوب الافريقيين على الضفة اليسرى لنهر النيجر حيث اسسوا لأنفسهم دولتهم الاسلامية المعروفة باسم « سنغاى » ثم يتحدث الكتاب بعد ذلك عن انتشار الاسلام فى الحوصة جزء من « نيجريا الحالية »ثم عن دولة الفلانى التى يقال عن اهلها أنهم من صعيد مصر وصلوا الى « نهر الجمبيا » فى نيجريا الشمالية الآن ثم دولة « اليوروبا » التى تنتسب الى صعيد مصر أيضا ، والتى استطاعت تثبيت الحدود الاسلامية بذكاء عند داهومى غربا ص ٧١ ٠

وعن دولة « التوكولور » يتحدث الكتاب ص ٧٧ و ٩٧ عن دور الحاج عمر بن أدريس فى نشر الاسلام وتدعيمه فى عدة مناطق مما استقر الأمر على تسميتها الآن باسم ـ غينيا، وجابون وشمال النيجر ووسطه ، وبما اصطلح على تسميته بامبراطورية «التوكولور» التى كانت تعمر تلك المناطق الشاسعة من فوتا الى « تمبكتو »

***

وبعد : فمن كل ماتقدم نستطيع أن نشعر بعمق التغيير الانسانى والحضارى الذى قامت به الحضارة العربية الاسلامية فى افريقيا واذا نظرنا الى الاحصائيات الحديثة لمسلمى افريقيا نجد أن عددهم اليوم يتراوح بين ٨٥ و ٩٥ مليونا من المسلمين أى بنسبة ٣٤ او ٣٥٪ تلك النسبة التى تكاد على وجه التقريب تبلغ حوالى ثلث سكان القارة ٠ والدول الاسلامية التى يتخذ فيها الاسلام طابع الأغلبية المطلقة والذى يصبح فيها تلقائيا ـ الدين القومى ـ كثيرة تبلغ اثنتى عشرة دولة مستقلة فى افريقيا الشمالية ، هى الدول العربية الست ثم دول الصحراء والساحل مثل ـ موريتانيا ، ومالى ، والنيجر ، والصومال ، والسنغال ، وغينيا ٠ ومن

الملاحظ انها جميعا ـ عد الصومال ـ تمثل كتلة واحدة متصلة ، مشتركة الحدود ، والصومال تنفرد بميزة خاصة هي أن ٩٩ ٪ من سكانها مسلمون ، وفي نيجيريا الشمالية ٠ حوالي ٨٠٪ مسلمون ويبلغ المسلمون نصف سكان أثيوبيا ٠ وفي شرق افريقيا ، وفي موزمبيق ما يقرب من ثلاثة ملايين مسلم .

***

انني أريد هنا أن أقول ٠٠

انه على الرغم من ضخامة هذا العدد من الدول والنسبة العددية للسكان فان الاسلام وقيم الانسان الافريقي النضالية والحضارية مهددة الآن أكثر من اى وقت مضى بفعل الطرق المتعددة لأنواع التآمر الاستعماري على شعوب القارة التي تأخذ من شبكات التبشير المنتشرة في جميع انحاء القارة وسائل دنيئة للتفرقة بين ابناء الشعب الواحد .. ولعل الذى دفعنى الى قول ذلك هو تلك الأصوات المريضة العميلة التي تحاول تجزئة جزء حيوى وهام من أجزاء وطننا وهو السودان ٠٠ بدعوى أن شعب السودان في الشمال تقوم وحدته أساسا على عنصرية عربية واسلامية ٠٠ ولا نستطيع هنا الا أن ننقل لأولئك الذين جعلوا من انفسهم عملاء غير شرفاء للقوى التبشيرية الاستعمارية في جنوب السودان ووسط افريقيا قول « جريشفل » وزير الدولة في حكومة الشهيد باتريس لومومبا مما يؤكد القيم العربية الانسانية ، حيث قال في تصريح له : (نشر قبل ذلك في كتاب شخصيات افريقية للشاعر عبده بدوى) يقول :

« لقد زور البلجيكيون كل شيء في الكونغو ، فليست مدينة « ستانلى فيل » سوى مدينة « تيبوتيب » الذى اقام هذه المدينة قبل قدوم الرحالة « ستانلى » وليس العرب كما قالوا لنا تجار رقيق ، وانما هم تلك الموجة الانسانية التي اختلطت بنا ، وصاهرتنا وتركوا لنا لغة متولدة من لغتهم ، ودينا وحضارة وسماحة تسوى بين الناس كما تركوا على ارضنا دماءهم والبلجيكيون يحصدونهم بالأسلحة الحديثة . وليس شيء أمر علينا من هذا الدم العربي الذى سال في الماضي كما سال ويسيل دمنا الآن في بلادنا على أيدى أعداء العرب في القرن الماضي انفسهم » ان الحضارة العربية الاسلامية بمحتوياتها الانسانية التقدمية المعاصرة أبعد ما تكون عن العنصرية التي يتشدق بها عملاء الاستعمار في جنوب السودان ، ونحن نعتقد أن المشاركة الايجابية لحركتنا العربية الواحدة في دعم قضية النضال المشترك ضد الاستعمار ومخلفاته في افريقيا ـ تحتم على كل من يهمه امر القضاء على الاستعمار واعوانه في قلب قارتنا أن يسارع فورا لوقف هذا التآمر المقنع تحت ستار ارساليات التبشير المدمرة للوحدة الافريقية والوحدة العربية ـ الظهير القوى لكفاح الشعوب في كل مكان ٠ اننا لسنا ضد المسيحية ولكننا ضد اولئك الذين يستخدمونها لأغراض استعمارية تخدم مخطط السيطرة الاقتصادية للاستعمار العالمى .. ضد اولئك المبشرين الذين يقرون اعمال القتل بالجملة وذبح النساء والأطفال عن طريق مرتزقتهم في الكونغو ، وضد أولئك المبشرين الذين يحاولون تمزيق الوطن الواحد لصالح قوى الاحتكار العالمي .. ونحن نعتقد أن الدين المسيحى ليس هو هؤلاء الخارجون عليه من المبشرين في افريقيا وانما نعتقد أنهم مجرد دمى تتحرك تحت ستار الدين لصالح أسيادهم المستعمرين ، ونقول هذا الآن لنؤكد أنه قد اصبح ضروريا للحركة العربية الواحدة ان تنظر بعين الاعتبار والأهمية الى كل محاولات التجزئة والتفتيت سواء ما يبرز منها الآن على السطح وما هو منتظر لأوامر قوى خارجية تحركه بل أدعو أن تتقدم الحركة العربية الواحدة بقدرتها الذاتية وبما تملكه من مقدرة تفوق كثيرا مقدرة الجزء الواحد على الحركة الفعالة لتأخذ زمام المبادأة لاسكات مثل هذه الحركات الانفصالية الصغيرة ، حتى لا تكون جبهات جاهزة لفتحها ضد حركة شعبنا ونضاله في اى وقت يشاؤه لها أسيادها الاستعماريون ٠

تحسين عبد الحى

كتب جديدة

يقدمها : أحمد عبد الصمد دياب

تاريخ الحركة القومية فى مصر القديمة
تاليف : عبد الرحمن الرافعى

لقد غطى الاستاذ عبد الرحمن الرافعى الفترة الحديثة بكتبه التاريخية ، مما تعتبر معه مرجعا لا يستطيع اى باحث الاستغناء عنه ، وبعد أن قام بهذه التغطية نراه يقفز قفزة كبيرة عبر التاريخ فيقدم لنا هذا الكتاب ذاكرا أن عظمة مصر القديمة هى التى دفعت به دفعا الى أن يقف عندها هذه الوقفة ، ثم نراه يقول :

« ان الحركة القومية كما قصدتها وعنيتها هى الجهود التى بذلها الشعب المصرى بمختلف طبقاته فى سبيل تكوين مصر الحرة المستقلة والذود عن كيانها والدفاع عن استقلالها والثورة على كل من يعتدى على هذا الاستقلال ومقاومته» .

وهكذا يثبت المؤرخ الكبير ان تاريخ مصر كله مشرق ومضىء ، وممتلىء دائما بالحرية ، او البحث عن الحرية .

« فى مرقص الظلال »
تاليف : كامل سعفان
الناشر : دار الهلال

يعرفنا الشاعر نفسه فى لمحات سريعة بكتابه فيذكر انه صورة صادقة لأحاسيسه التى استطاع أن يلتقط من خلالها نسيج وجوده ، بالاضافة الى اثر المشاكل الاجتماعية التى كان لها أثر كبير على نفس الشاعر ، وقد قال كلمة ذكية هى :

«انه ليس الهدف من نشر هذه المجموعة مجرد اعلان ميلاد شاعر ، وانما هو الاتصال بالنقاد فى صورة تمكنهم من ان يقولوا اين تقف قدماى »

ترى هل يستجيب النقاد لهذه الدعوة من الشاعر الذى يقول فى قصيدة « يا بنى العزيز » :

نحن شعب يهز راحتنا المجد
ونصبو الحياة حين نسود

صراع فى سبيل القومية العربية
تاليف : سامى الكيالى
مطبعة الشرق بحلب

يحدد المؤلف ماهية الكتاب فى مقدمته التى يقول فيها «ان هذه الكلمات فى السياسة القومية كتبت فى مناسبات مختلفة ، نقوم بنشرها لا لأنها تصور الأحداث التى مرت بالوطن العربى خلال صراعه الطويل مع الاستعمار ، ولكن لانها تصور الكثير من الهواجس القومية ، وترمز الى الكثير من الانتفاضات والثورات والانتصارات التى انتهت بنا الى خلق «الكيان العربى» .

والكتاب يركز على قضية فلسطين تركيزا كبيرا ، ويرى انه قد مضى الكثير من الوقت دون النزول الى معركة فلسطين ، وبخاصة بعد ان رفع الرئيس «جمال عبد الناصر» علما فوق هذه القضية .

تاريخ العلم الحديث
تاليف : روبرت . ر . بالمر
ترجمة : د . محمود حسن الأمين
د . حسن عل الذنوب
الناشر : مكتبة الوفاء بالموصل

الكتاب جزءآن فى أكثر من ٨٠٠ صفحة من القطع الكبير ، يتناول الجزء الأول تاريخ أوربا منذ القرون الأولى الى عام ١٧٤٠ م . وهو خمسة فصول يعرض فيها لنهوض أوربا والثورة فى الكنيسة المسيحية ، والحروب الدينية الصليبية ، وتأسيس قيادة أوربا الشرقية .

اما الجزء الثانى فيتناول تاريخ أوربا من ١٧٤١ م الى ١٨١٥ م فى خمسة فصول أخرى يعرض فيها

للصراع من أجل الثروة والامبراطورية والنظرة العلمية الى العالم ، وعصر الاستنارة ، والثورة الفرنسية ، ثم أوربا ونابليون .

والمؤلف أستاذ التاريخ الأوربي فى جامعة برنستن بالولايات المتحدة ، والكتاب له أهمية ملموسة ، فقد صدرت طبعته الأولى عام ١٩٥٠ وأعيدت فى الويات المتحدة وحدها سبع عشرة مرة ، وترجم الى العربية أواخر عام ١٩٦٤ .

• الاحوال الشخصية

تاليف : محمد الحسيني حنفي

الناشر : دار النهضة العربية ـ بالقاهرة

الكتاب يقع فى ٣٦٠ صفحة من القطع الكبير ، وهو خاص بحقوق الاولاد والاقارب .

وهو مقسم الى ستة فصول تناول المؤلف فيها بالدراسة ، النسب واسباب ثبوته ، وطرق اثباته ، ونفيه ، وأحكام اللقيط ، كما تناول الرضاع ، والحضانة ، والولاية على النفس ، واقسام هذه الولاية ثم نفقة الأولاد والأقارب ، وأحكام المفقود ، وآراء بعض المذاهب الفقهية فيه .

• تاريخ الفكر الاجتماعي

تاليف : د حسن شحاته سعفان

الناشر : دار النهضة العربية

يقع الكتاب فى زهاء الـ ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير ، وقد قسم المؤلف هذه الدراسة الى قسمين : تاريخ الفكر الاجتماعي ، وعلم الاجتماع ومدارسه، وفى القسم الأول تناول الفكر الاجتماعي فى العصور القديمة ، وعند الشرقيين القدامى ، وعند اليونان القدامى ، وعند الرومان ، وفى العصور الوسطى ، والاسلامية ، وفى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، والنظريات والمذاهب فيها .

أما القسم الثانى ، فقد تناول المؤلف فيه تاريخ علم الاجتماع فى فرنسا ، ومدارس اوجست كونت ، ولوبون ، واميل دوركايم ، كما تناول ايضا علم الاجتماع فى انجلترا : المدارس التطورية والنفسية ومدارس البحث الاجتماعي ، ودراسة الاجناس والثقافات ، وعلم الاجتماع فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وفى المانيا والشعوب الجرمانية ، والمدارس الاجتماعية الألمانية الحديثة والمعاصرة ، ثم علم الاجتماع فى الدول الأخرى ، وفى ايطاليا وبلجيكا ومصر .

احمد الصادق عبد الصمد

أخبار

● مجلة الرسالة دراسة تاريخية وفنية ، من عام ١٩٣٢ الى ١٩٥٢ موضوع رسالة ماجستير يعدها الزميل الصحفي محمد سيد محمد ، يشرف على الرسالة الدكتور عبد اللطيف حمزة استاذ الصحافة بجامعة القاهرة ، يشمل البحث الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التى عاصرتها مجلة الرسالة ودراسة الناحية الفنية الصحفية من طباعة واخراج وتحرير واعلان وفصل عن سيرة الاستاذ الزيات صاحب الرسالة ورئيس تحريرها ثم فصل عن الدور الذى لعبته مجلة الرسالة فى الفكر العربى من ادب وفنون وعلوم .

● يصدر قريبا وفى مجلد واحد شعر المرحوم عباس محمود العقاد الذى نشر فى عدة دواوين منفصلة ـ سيصدر ـ المجلد على نفقة الأستاذ عامر العقاد .

● تسلم الأديب فاروق منيب ـ كاس القباني للقصة ـ عن مجموعته القصصية زائر الصباح ، وكان ضمن برنامج تسليم الكاس القاء تقرير مفصل عن نشاط الندوة فى العام الماضي .

● يصدر العدد الاول من مجلة «الوعى الاسلامى» التى تصدرها وزارة الأوقاف بدولة الكويت فى أول العام الهجرى القادم ـ يراس تحريرها الاستاذ **عبد المنعم النمر** المفتش بالازهر .

والهدف من هذه المجلة ان تقف الى جانب شقيقتها «العربى» ولكن فى المحيط الاسلامى ، وان تقدم زادا طيبا خصبا من الثقافة الاسلامية الناضجة مع اختيار الاقلام النظيفة الواعية ، وان تجابه التيارات المنحرفة التى تتربص بالفكر الاسلامى فى كل مكان .

هذا وقد اختارت وزارة اوقاف الكويت الاستاذ **محمد عبد الله السمان** ليكون وكيلا عنها بالقاهرة. لمدها بالمقالات الاسلامية من الكتاب المعروفين فى المحيط الاسلامى .

والرسالة : تتمنى للزميلة القادمة توفيقا فى مهمتها وهديا فى رسالتها .

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر

تقدم

الدار المصرية للتأليف والترجمة

خلال شهر إبريل ١٩٦٥ السلاسل الآتية

المكتبة الثقافية
العدد ١٣٠
١٩٦٥/٤/١

التفكير عند الإنسان

تأليف : الدكتور أحمد فائق

الثمن قرشان

تطلب من الباعة ومن دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ١٩ – ٢٦ يوليو ت { ٥٥٠٣٢ ٧٧٧٤١

مجلة **الفكر المعاصر**
العدد الثاني
١٩٦٥/٤/٣

فكر مفتوح لكل التجارب

تلاحق اتجاهات الفكر في العالم وتضع القارئ في تيار عصره ....

رئيس التحرير : د. زكي نجيب محمود

الثمن ٥ قروش

تطلب من باعة الصحف ومن مكتبة دار التأليف والترجمة ٥ ميدان عرابي ت : ٤٦٣٨٣

روائع **المسرح العالمي**
العدد ٦٠
١٩٦٥/٤/٤

مينا فون بارنهلم

تأليف : جوتهولد افرايم لسينج

ترجمة وتقديم : د. مصطفى ماهر مراجعة : د. محمد محمد القصاص

الثمن ٥ قروش

تطلب من الباعة - ملتزمي التوزيع في الداخل والخارج (مكتبة الخانجي) ت { ٩١٥١٤٨ ٩٠٦١٤٨

تراث الإنسانية
العدد ٤ من المجلد الثالث
١٩٦٥/٤/٥

سلسلة تتناول بالتعريف والبحث والتحليل روائع الكتب التي أثرت في الحضارة الإنسانية

الثمن ٥ قروش

تطلب من الباعة ومن مكتبة دار التأليف والترجمة ٥ ميدان عرابي ت : ٤٦٣٨٣

أعلام العرب
العدد ٤٠
١٩٦٥/٤/٧

الجويني إمام الحرمين

للدكتورة : فوقية حسين محمود

الثمن ٥ قروش

يطلب من الباعة ومن مكتبة مصر ٣ شارع كامل صدقي بالفجالة ت { ٩٠٨٩٢٠ ٩٠٥١٤٧

قراءات في المجلات العربية



يقدمه: محمد العواني

● **الأدب والوحدة العربية :**

نشرت الدكتورة « سهير القلماوى فى العدد الممتاز من مجلة «الآداب» مقالا تحدثت فيه عن دور الادب فى معركة التحرر والبناء فأشارت الى أن الادباء يتطلعون ، الى دور الأمة الواحدة وقد أطلقت طاقاتها الحرة لتؤدى مرة أخرى رسالتها الفريدة فى تقدم الانسانية ، فيؤلفون بوحى من هذا شعرا ونثرا ، هذه الآفاق لا تشغلهم عن تصوير الواقع القريب لهذا الاتجاه الواقعى الذى فرضته النكبة ، والذى مازال سائدا يصور الواقع الداخلى لكل قطر ويحدد مراحل البناء ويركز بطبيعة الحال على الفرد العربى أينما يكون على الأرض العربية ، ليعرف ماذا هو ، والى أين يسير ؟

لقد فتح الفرد العربى نوافذ الثقافة كلها على مصراعيها وراح ينهل بنهم من قد حرم طويلا فاحس كيانه احساسا جديدا ، ويرى فى نفسه صفات الانسان العربى القديم ، بكل ما فيها من طاقة وقوة مذكرة اياه بأجداده الذين فتحوا ليعمروا ولينشروا السلم والأمن والحضارة والرخاء ، وفتحوا قلوبهم وعقولهم للانسانية كلها دون تعصب أو تحزب ليبلغوا أقدس رسالة وليحيوا وليحيا معهم الجميع دون تمييز نحو أرفع المثل الانسانية وأسماها .

● **التراث والمجتمع الجديد**

كانت مسالة التراث من المسائل الهامة التى لقيت عناية كبيرة فى مؤتمر الادباء العرب بالعراق

وقد تناول هذا الموضوع الدكتور « ناصر الدين الاسد » فى مجلة «الآداب» فبين ان الامم كلها ، مهما تكن فلسفتها الاجتماعية والاقتصادية تحرص اشد الحرص على تراثها وتبذل جهودا كبيرة لاحيائه ونشره وبثه فى نفوس ابنائها ، بل ان بعض الامم الحديثة تفتعل لنفسها تراثا تجمع اجزاءه تجميعا وتنفخ فيه لتتم له صورة تفىء اليها الامة ، وتنطلق منها ثم يشير الدكتور «الاسد» فى نفس الوقت الى انه لا بد لنا من ان نفتح النوافذ كلها كلها لتستقبل النور والهواء ، على ان نرى النور باعيننا لا باعين غيرنا وان نتنفس الهواء برئاتنا لا بالرئات التى تصنع لنا ، كما ان علينا كذلك ان نفتح هذه النوافذ ونغلقها حين نريد لا حين يراد لنا .

ومن اجل هذا يؤكد أن كل تجديد فى الأدب والفن عامة يجب أن يكون متسقا مع طبيعة حياة الامة وروحها، اذ أن التطور فى الادب ينبع من تطور المجتمع وفى نفس الوقت يكون عاملا من عوامل تطور المجتمع تطويرا سليما ، دون ان يفصله عن جذوره ويقطعه عن اصوله ويعريه عن اصالته .

● **شعر الملاحم**

وكتبت مجلة « الاقلام » العراقية بحثا عن شعر الملاحم كتبه « جمال الدين الآلوسى » تناول فيه شعراء الملاحم وعد من هؤلاء الشعراء «اسعدى الشيرازى» الذى نظم مطولة نشرت فى مجلة القرن ١٩٢٢ ، تصف ما اصاب بغداد واهلها من قتل وتشريد اثناء هجوم التتار عليها بقيادة «هولاكو» ومضى الباحث متحدثا عن نكبة فلسطين التى هزت الأمة العربية هزا عنيفا وتجاوب لها الشعر وتفاعل مع احداثها الشعراء حتى نتج عنها كثير من الملاحم واشار الى أن من أروع ما قاله الشعراء عن حرب

فلسطين تلك «الملحمة» التى أصدرها الشاعر الفلسطينى محمود الحوت ١٩٥١ ، وقد استشهد الباحث بنماذج مما هذا الشاعر متددا بخيانات الحكام والمؤامرات التى حيكت حول هذه القضية، يقول الشاعر :

فى الحرب تفنى جماعات مقاتلة
فما لآلافنا فى السلم قد هلكوا
ضاعت فلسطين و (السبع) ليس لها
الا البهارج فى الاقوال معترك
يا امة فى ظلام الليل هاجعة
قد طال ليلك فليهنا بك الحلك

ويمضى الباحث مبينا ان من الشعراء الذين نظموا الملاحم فى نكبة فلسطين الشاعر السورى بولس سلامه الذى نظم ملحمة طويلة عن فلسطين سنة ١٩٤٨ عنوانها « فلسطين واخواتها » ، كما اصدر الشاعر اللبنانى محمد شمس الدين ملحمة سنة ١٩٥٠ بعنوان «النازحة» ، كما ان الشاعر البحرانى «ابراهيم العريض» نظم ملحمةبعنوان ارض الشهداء ثم يكمل المقال بالحديث عن هذا النوع من الشعر فى الجمهورية العربية المتحدة . التى ظهرت فيها ملاحم بعد ـ محرم ـ منها ما هو سياسى ومنها ما هو دينى ، ومنها ما هو اجتماعى .

ويقول الباحث ان من اجود هذه الملاحم ملحمة «أمير الأنبياء» للشاعر عامر محمد بحيرى التى نشرت عام ١٩٥٤ وتتناول حياة الرسول من مولده الى انتقاله الى الرفيق الاعلى فى ١٢٠٠ بيت سار فيها على بحر الوافر والتزم فى كل عشرة ابيات رويا واحدا ، كما ظهرت لنفس الشاعر ايضا ملحمة تقع فى ٢٤٠٠ بيت بعنوان «ملحمة الجلاء» سنة ١٩٦٣ صور فيها الاحداث السياسية التى مرت بها مصر من ثورة ٢٣ يوليو الى انتصار العروبة على الغزاة المجرمين .

ومع أن هذا البحث من أمتع البحوث التى تناولتها مجلة «الاقلام» الا انه كان فى حاجة الى ذكر نماذج ولو يسيرة للملاحم هؤلاء الشعراء الذين تعرض الباحث للحديث عنهم . ولعل اعتذاره عن ذلك بطول البحث يرينا مبلغ الفائدة التى تعود على القارىء من ذكر هذه النماذج وقد كان من الاجدر به بدلا من ان يستشهد لشاعر واحد بنماذج كثيرة ان يعطى هؤلاء الشعراء حقهم بالتعرض لنماذج من شعرهم لتتم الفائدة من البحث ويعظم به النفع .

● **هزل مجلة «حوار»**

لا تزال مجلة «حوار» بين حين وآخر تنشر مقالات غير جادة . وفى العدد الأخير منها مقال وصف فيه كاتبه « القاهرة » ، ونشير هنا الى بعض الفقرات وردت فى المقال لنتبين الى اى مدى تهدف هذه المجلة من اغراض خبيثة خاصة وانها تصدر عن «المنظمة العالمية لحرية الثقافة» ومما جاء فى هذا المقال عبارة تقول « ولا تزال رقصات البطن ممكنة ، لا فى نادى الهيلتون الليلى ، ولكن فى الأعراس المحلية حيث تهتز البطون العارية ، وحيث لا تزال الحرذات على ما هى عليه دائما ، ولايزال بالامكان استئجار الراقصين الذكور الذين يرتدون اثوابا نسائية ، ولهم شوارب مثلما لهم جدائل شعر طويلة ، وحواجب مزججة .

وكما اعطى «الفوازى والحولات» مكانهم فى الباليه الشعبى كذلك طور قراقوز الى مسرح للعرائس» .

ماذا تقصد هذه المجلة بنشر هذه السفاسف ؟ ولعل فى هذا ما يؤكد حقيقة اتصالها بالاستعمار والصهيونية خاصة وان المقال لكاتب انجليزى هو « ديزموند ستيوارت » . وأخيرا : ما رأى كتابنا الافاضل الذين لا يزالون يصرون على التعامل مع « حوار » ؟

● **الميثاق ودعوة .. الاسلام :**

وفى مقال كتبه حسنى عبد المجيد فى مجلة « منبر الاسلام » عنوانه « دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الاسلام » بين فيه أن رسالة الاسلام لا تفرق على الاطلاق فى شمولها بين شئون الدين والدنيا ، اى ان اصلاح سبل معايشتنا فى اطار فلسفة الدين الاسلامى ومن روحه ، تمنحنا طاقات روحية كفيلة بان تدفعنا للارتفاع الى مستوى المسئولية الملقاة علينا تجاه مشاكلنا الداخلية وازاء العدو المتربص بنا وبمصيرنا . ثم يشير الى أن من مزايا الاسلام أنه يستهدف العدالة السياسية والاجتماعية .. ويترك وسائل تحقيق هذه العدالة وفق اطوار الزمان ومصالح الناس ، والاسلام هو الذى وضع القواعد الثابتة لكل مسائل المعاملات فى كل زمان ومكان ، فهو الدين العملى الذى يكفل النجاح المادى والروحى معا ليظل الجماهير المسلمة بالعدالة الاجتماعية والديمقراطية الحقة . فى الوقت الذى لا يحتمل الاسلام الرجعية على اطلاقها ، فشعاره دائما هو الرقى والتقدم والعمل الخلاق

« محمد العوانى »



رأى للمناقشة

أيهما أفضل فى نشر الخطب الهامة بالصحف تدوينها بالعربية الفصحى أم تدوينها كما ألقيت ؟

للدكتور : على عبد الواحد وافى

كثيرا ما يؤثر بعض زعمائنا السياسيين القاء كلماتهم العامية باللهجة العامية ، حينما يكونون فى موقف شعبى لايحسن فيه اصطناع الخطابة التقليدية ولا استخدام أدواتها الفصحى ، وحينما يريدون أن تكون كلماتهم أدنى الى الحديث العادى الذى يجرى به التخاطب بين الناس بعضهم مع بعض ، وان تكون خالية من جميع سمات الاعداد والتزويق ومحاولات التأثير فى الوجدان ببلاغة التراكيب . ولا تثريب عليهم فى مثل هذه الأحوال فى التحدث بالعامية ، بل لعل ذلك هو ما يقتضيه المقام ويحسن به حينئذ ايصال الحقائق الى الأذهان .

غير أن جميع صحفنا اليومية المصرية تحرص على تدوين كلماتهم وجملهم بصورها العامية التى صدرت عنهم . ولا شك أن فى ذلك مزية تسجيلها حرفيا بالصورة التى ألقيت بها ، فلا يكون ثمة مجال للتزيد ولا للتأويل . ولكن مزايا هذه الطريقة ـ على ما يبدو لى ـ ليست شيئا مذكورا بجانب ما تنطوى عليه من مثالب :

فمن أهم مثالبها أنها تسىء اساءة كبيرة الى مقومات الكتابة والى جمهور القارئين من المصريين ، وتحدث أمام الناطقين بالعربية فى بقية أرجاء الوطن العربى صعوبات كثيرة تحول دون فهمهم لكلام هؤلاء الزعماء فهما كاملا صحيحا ، وتمكن العامية فى ميادين الادب والثقافة .

وذلك أن أعيننا قد اعتادت صور الكلمات العربية الفصحى فى الكتابة ، ومن ثم لا نجد صعوبة فى قراءتها وفهمها ولا نقضى فى ذلك وقتا طويلا . فلايلافنا هذه الصور نعرف الكلمة بل الجملة بمجرد وقوع أبصارنا على بعض أجزائها ، بدون حاجة الى استقراء جميع هذه الأجزاء . وفى ذلك اقتصاد كبير فى الوقت والمجهود . ولكننا غير معتادين النظر الى صورها مكتوبة باللغة العامية ، فنحتاج حينئذ الى قراءة جميع حروف الكلمة وجميع أجزاء الجملة حتى نقف على مدلولها . وفى ذلك اسراف كبير فى الوقت والمجهود . وهذا فيما يتعلق بالقارىء المصرى فى المنطقة التى يتكلم بلغتها العامية . أما فى بقية بلاد الوطن العربى فان القارىء بعد أن يجهد نفسه فى قراءة هذه الكلمات قد يصعب عليه فهم مدلولها ومدلول جملها ، لأنه لايستخدمها فى لهجته العامية . فالعراقى والمغربى مثلا حينما يقرآن جملة كهذه : « وكمان أنا بدى برضه أقولكو والله حاجه » ، لايفهمان منها شيئا ، لغرابة كلماتها عن عاميتهم . على حين أننا حينما نكتب العبارة السابقة فى هذه الصورة : « وانني لأحب كذلك أن أتحدث اليكم فى أمر آخر » ، يفهم مدلولها جميع أهل البلاد العربية ، ويقضى القارىء فى قراءتها نحو نصف الوقت الذى يقضيه فى قراءة الجملة الأولى اذا كان مصريا ، وأقل من ربع هذا الوقت اذا كان غير مصرى ، ويكون لها من

الروعة وحسن الوقع عندهم جميعا ما لا يكون شيء منه لمرادفها من العامية . ومثل هذا يقال في خطبة زعيم عراقي مثلا يلقيها باللهجة العامية العراقية أو زعيم مغربي يلقيها باللهجة العامية المغربية – وفضلا عن هذا كله فان الصحف باستخدامها العامية في كتابة هذه الخطب الهامة تعمل من حيث لا تشعر على زحزحة العربية الفصحى عن أهم مواطنها ، وتمكين العامية في ميادين الأدب والثقافة ، وتيسير الوسائل لتحقيق تلك الاتجاهات الشعوبية الآثمة التي ترمي الى احلال العامية محل العربية الفصحى .

« دكتور علي عبد الواحد وافي »

رسول السلام والحرية
اسماعيل محمد الجوهري

أرسل الينا الاديب اسماعيل محمد الجوهري رسالة عن قصيدة للشاعر عفيفي محمود ، تقول الرسالة ان .

● « رسول السلام والحرية » اسم القصيدة التي نظمها الدكتور عفيفي محمود وسلمها لجريدة الأهرام لكي تنشر يوم الاستفتاء على رئاسة الجمهورية .. الغريب في الموضوع ان القصيدة الغيت بعد جمعها .. !!

وفي مطلع القصيدة يقول الشاعر :

التحيات عاطرات زكية ‏ ‏ لرسول السلام والحرية
من احلته في الحنايا بلادي ‏ ‏ بالرته في العيون الرضية
بوأته القلوب صرحا منيعا ‏ ‏ رب صرح من القلوب الأبية
قد سرت فرحة الملايين من اسوان ‏ ‏ تطوي المدى الى اللاذقية

● يؤكد الكثيرون ان اللغة لم ترفع عن الشعر الأصيل في الأهرام ، وان قصيدة صالح جودت كانت ذرا للرماد ، ولعل الجديد ان قصيدة صالح قد شوهت وحذف منها ما يقرب من عشرين بيتا في اكثر من مكان .

باعث الشرق

للشاعر محمد عبد المنعم سالم

اقم للشرق حصنا لا يسامى ‏ ‏ واحكم في قيادته الزماما
وكن في يوم عسرته اباه ‏ ‏ فقبلك عد في سلك التسامي
وقدما كانت العلياء تعنو ‏ ‏ لعزته وتحتشم احتشاما
ومرت حقبة جمعت عليه ‏ ‏ جنود الشر تحتدم احتداما
فعاثوا فيه افسادا وبغيا ‏ ‏ ولم يرعوا لحرمته ذماما
فكم مستعمر اشقى بنيه ‏ ‏ وسدد في قلوبهم السهاما
ومهما امتص من دمهم سقاهم ‏ ‏ من الاذلال جاما ثم جاما
وما زالت به الظلمات حتى ‏ ‏ طلعت بافقه بدرا تماما
فلما جئت جاءهم بشير ‏ ‏ فبدد من طريقهم الظلاما
جمعت العرب في صف قوي ‏ ‏ تجاوز مصر والتظم الشاما
واضحى في العراق له امتداد ‏ ‏ وفي اقصى عروبتنا استقاما
وفي سورية زارت اسود ‏ ‏ وفي يمن تباح البغي ناما
وفي قلب الجزائر عب قوم ‏ ‏ ازالوا عن عروبتنا السقاما
جمعتهم على حق صراح ‏ ‏ وقدتهم فكنت لهم اماما
وكم بين الائمة حين ضحوا ‏ ‏ وبين ائمة كانوا لئاما
مضوا يعطون صبحا ثم امسوا ‏ ‏ احلوا البغي واقترفوا الحراما
فحلت لعنة الدنيا عليهم ‏ ‏ وكان رحيلهم عنها لزاما
صنعت الدولة الكبرى بعزم ‏ ‏ وقمت بها فاحسنت القياما
فلا خوف عليك ولا عليها ‏ ‏ فبالايمان تحميها الوئاما
فيا قصف المدافع منك اقوى ‏ ‏ ولا تلقى كعزمتك الحساما
فان يكن السلام تكن سلاما ‏ ‏ وعند الحرب تضرمها ضراما
احب الشعب حكمك اذ رآه ‏ ‏ بنور الحق ينتظم انتظاما

فيم الاستفتاء

للشاعر فرحات عبد الخالق

قل لي – بربك – فيم الاستفتاء
الشمس تسطع ، والضحى وضاء
العرب تعرف : من هو الرجل الذي
يحمي لواء العرب ، وهو لواء
العرب تعرف : من هو الرجل الذي
من كفه تتدفق النعماء
بطل القناة ، وما روت من قبلها
او بعدها للعالم الأنباء
انباء (عبد الناصر) البطل الذي
تجري الأمور ، كما يرى ويشاء
هو ملهم : حتى كأن فعاله
وحي السماء ، وانهن قضاء

***

الوحدة العربية انبثقت هدى
من اصغريه ، وكلها اضواء
الوحدة العربية انهمرت ندى
من راحتيه ، فاهلها سعداء
هو باعث الايمان بين قلوبهم
ومحقق الآمال ، وهي هباء
وموجه التيار ، في ولياتهم
ولعزهم ولمجدهم بناء
ولطالما كشف الغطاء عن التي
في طيها ما تنفث الرقطاء
خدع تحاك لكيدها ، لكنها
عين الرئيس بصيرة نجلاء
اختاره شعب العروبة ، قائدا
لصفوفهم ، وجميعهم نصراء

قروية في روما

قصة من تأليف البرتو مورافيا

ترجمة الدكتور : الطاهر أحمد مكى

... وازاء اصراره قلت له :

ــ كن على حذر يا استاذ ، انهن فتيات ساذجات من القرى ... كن على حذر مما تفعل ، من الخير أن تبحث عن واحدة من روما ، فتيات مقاطعة « شيو شياريا » ريفيات ، فلاحات ، جاهلات !

وقعت منه الكلمة الاخيرة موقع الرضا فامسك بها :

ــ جاهلة ! ... ذلك ما اريده ، لن تقرا على الاقل قصصا ، اريدها جاهلة !

كان الاستاذ رجلا شيخا ، أشيب الشارب واللحية ، يعمل فى مدرسة ثانوية ، لكن دراسة الآثار تاتى فى المقام الاول من اهتمامه ، كل يوم أحد ، وفى الايام الاخرى متى وجد الى ذلك سبيلا ، يذهب الى شارع «أبيا» ، او المنار الرومانى ، او منطقة « تيرماس دى كراكلا » ، يدرس آثار روما ، وفى داره تتراكم المؤلفات عنها ، كما لو كانت مكتبة ، تبدا من الصالة حيث يوجد عدد كبير منها ، مخبا وراء الستائر الخضراء ، ثم تتوالى تملأ البيت كله ، فى الممرات وفى الحجرات ، لا يخلو منها مكان غير المطبخ والحمام . وكان يحافظ عليها اكثر من انسان عينيه ، ومسكين ذلك الذى يجرؤ على مساسها ! ، ومن الصعب أن يعتقد المرء أنه قراها كلها ، على اى حال كما نقول نحن فى « شيو شياريا » انه لم يشبع نهمه منها بعد ، وعند ما لا يعمل فى المدرسة ، او يعلم فى البيت ، او يدرس الآثار الرومانية ، يذهب الى حوانيت الكتب القديمة ، ثم يعود وتحت ابطه ربطة منها . كان يجمع الكتب كما يجمع الغلمان طوابع البريد ، وكان تلهفه للحصول على فتاة من قريتى لتخدمه يبدو لى غامضا ، كان يقول : انهن اكثر شرفا ، واقل أحلاما ، وأن الفلاحات يفتنه بوجناتهن التى فى لون التفاح الأحمر ، وأنهن يجدن الطبخ ، ولم يكن يمضى يوم دون ان يطل براسه فى حجرتى سائلا عن تلك الفتاة ، من «شيوشياريا» وجاهلة ، فلم أجد بدا من الكتابة الى صديق لى فى القرية ، فرد على بان لديه بالدقة ما اريده ، فتاة من « فاليكروسا » تدعى « تودا » لم تتجاوز العشرين عاما ، لكن الصديق حذر فى رسالته قائلا: ان لتودا هذه عيبا : انها لا تعرف القراءة والكتابة ، فاجبته : ذلك عين مايريده الاستاذ ، فتاة جاهلة !

ذات ليلة وصلت « تودا » الى روما فى رفقة صديق ، وقد ذهبت الى المحطة لاستقبالها ، وفهمت للنظرة الاولى أنها « شيوشيارية » أصيلة ، واحدة من أولئك الفتيات القادرات على العمل فى الحقل طوال يوم كامل دون أن يتوقفن لحظة واحدة لاسترجاع قواهن ، او السير فى الطرق الجبلية يحملن فوق رءوسهن سلة زنتها خمسون كيلو ، موردة الوجنتين ، كما يحب الاستاذ ، شقراء شعرها مسدلة على صدرها ، سوداء الحواجب ، مقرونة ، مدورة الوجه ، تبدو أسنانها عندما تضحك بيضاء ملتصقة ، كانت بلا شك تسوكها ، كما تعودت النساء فى «شيوشياريا» ، بورق الخبيز ، لم تكن ترتدى نفس زى النساء هناك ، لكن كان لها طريقتهن فى المشى ، تدوس الارض بكل باطن قدميها ، لا تستخدم احذية ذات كعب عال ، ولها سيقان قوية تبدو جميلة وقد احاطت بها الشرائط التى تشد صندلها ، من ذلك النوع الذى تلبسه الفلاحات فى قريتها .

كانت تحمل سلة قالت لى : انها خاصة بى ، فيها شىء من البيض الطازج ، مسند على قش ، ومغطى بورق التين ، فرددت عليها بأن من الافضل أن تعطيها للاستاذ لتدخل البهجة على نفسه ، فاجابت :

انها لم تفكر فيه ، لانها - تتصوره نبيلا - يملك بلا شك مزرعة دجاج في بيته . فضحكت كما كنت افعل ذلك بين كل سؤال لها وآخر ، وفي الترام الذي حملنا الى البيت ادركت انها بدائية حقا ، لم تر في حياتها قطارا أو تراما او بيتا ذا طوابق ستة ... جاهلة تماما كما يريدها الاستاذ !

وصلنا البيت ، فصحبتها اولا الى حجرتي لكي اقدمها الى زوجتي ، ثم اخذنا المصعد سويا الى شقة الاستاذ ، ففتح لنا الباب بنفسه ، فلم يكن لديه خدم ، وكانت زوجي في العادة تذهب لتنظف له الشقة ، وتعد له القليل من الطعام الذي يأكله ، ولم تكد تدخل حتى غمزته « تودا » بالسلة في يده قائلة :

- خذ يا أستاذ ، لقد أحضرت لك بعض البيض الطازج !

فقلت لها :

- لا تخاطبيه بضمير المفرد ، وانما بضمير الجمع.

لكن الاستاذ ، على العكس مني ، شجعها : يمكن ان تقولي لي : انت ، يا ابنتي ، وفي الحال توجه الى يشرح لي : كلمة « انت » ، قائلا انها هي الرومانية ، انها تعبير الرومانيين القدامى ، كانوا مثل فلاحي « شيوشيارا » يجهلون مخاطبة المفرد بلفظ الجمع ، وينادون في طيبة بكلمة « انت » كل الناس ، كما لو كان الجمع يؤلفون اسرة واحدة . ثم قاد الاستاذ « تودا » الى المطبخ ، كان كبيرا ، يضم فرنا بالغاز ، وأواني من الالمنيوم ، وهو في اختصار مزود بكل ماهو ضروري وشرح لها كيف يعمل الغاز ، واستمعت له «تودا» صامتة جادة ، وأخيرا قالت في صوت جهوري :

- المشكلة انني لا اعرف كيف اطبخ !

وصاح الاستاذ مندهشا :

- كيف ذلك ؟ ... قالوا لي انك تعرفين كيف تطبخين !

وردت :

- في قريتي كنت اعمل في الحقل ، نعم كنا نطبخ ، لكن ما يكاد يكفي للاكل فقط ، أبدا لم يكن لدي مطبخ كهذا .

- اين تطبخين ؟

- في العشة .

وقال الأستاذ وقد أمسك بلحيته :

- طيب ... هنا أيضا تطبخ ما يكفي للاكل بالكاد ، هب انك اردت ان تطبخي ما يكفي للاكل بالكاد ، ماذا تصنعين ؟

ابتسمت وقالت :

- اعمل لك شربة باللوبية والمكرونة ، وتشرب كأسا كاملة من النبيذ ، ثم تاكل بعض الجوز ، وقليلا من التين المجفف .

- وهذا كل شيء ؟ ، اليس هناك ثانيا ؟

- ثانيا ؟ ... ماذا تعني ؟!

- طبقا ثانيا بعد الشربة من سمك او لحم .

وضحكت «تودا» من اعماق قلبها :

- عندما تاكل طبقا طيبا من شربة المكرونة واللوبية وخبزا ، الا يكفيك هذا ؟ ماذا تريد اكثر من ذلك ؟ ، انا مع طبق من هذا الحساء وخبز أعمل في الحقل طول اليوم ، وانت لا تعمل ...

- ادرس ، اكتب ، انا اعمل ايضا !

- طيب ، تدرس ... لكن العمل الحقيقي هو مانقوم به نحن .

على اى حال لم ترد ان تقتنع بان من الضروري ان يكون هناك طبق ثان كما قال الاستاذ ، وبعد نقاش طويل انتهى الراى الى ان تذهب الى زوجي بعض الوقت ، لتعلمها طريقة استخدام المطبخ ، ثم انتقلنا بعد ذلك الى حجرة الخادم ، كانت حجرة جميلة تطل على الفناء ، بها سرير الى جانبه نضد صغير ، وصوان للملابس ، وتطلعت « تودا » حولها وقالت :

- سانام وحدي هنا ؟

- مع من تريدين أن تنامي ؟

- في القرية تنام كل خمسة في حجرة .

- هذه الحجرة لك وحدك .

ذهبت انا اخيرا بعد ان اوصيتها بالانتباه واللطف ، فقد كنت اشعر بانني مسئول عنها امام الاستاذ ، وامام الصديق الذي ارسل بها ، وانا خارج سمعت الاستاذ يشرح لها :

ـ اسمعى ، يجب ان تنفضى الغبار كل يوم من على هذه الكتب ، بهذه المنفضة من الريش ، وهذه الخرقة .

حينئذ سالته هى :

ـ ماذا تعمل بكل هذه الكتب ؟ ، فى اى شىء تنفعك ؟ اجاب :

ـ هذه الكتب بالنسبة لى ، كالفاس بالنسبة لك فى الحقل ، اعمل بها .

فردت :

ـ نعم ، لكن انا كانت معى فاس واحدة

وفيما تلا ذلك من ايام، كان الأستاذ يمر بحجرتى يقص لى اخبارها ، وفى الحق لم يكن رضى النفس بها ،وذات يوم قال لى :

ـ انها فلاحة ، فلاحة حقا ، هل تعرف ماذا فعلت امس ؟

أخذت من على مكتبى ورقة مكتوبة ، واجب أحد التلاميذ ، وغطت بها بعض زجاجات النبيذ .

فذكرته :

ـ أستاذ ، لقد قلت لك من قبل ، انها فلاحة !

فرد :

ـ نعم ، لكنها فتاة طيبة ، خدوم ، فتاة طيبة حقا .

لكن الفتاة الطيبة ، كما كان يدعوها ، لم يطل بها الزمن لتصبح كأية فتاة أخرى ، عند ما تلقت اول راتب لها اشترت حلة من قطعتين ، مما أعطاها مظهر آنسة ، ثم حذاء ذا كعب عال ، وشنطة يد من جلد تقليد جلد التمساح . وأيضا ، وهو مايدعو للأسف ، قصت شعرها ، ولو انها ما تزال بعد ذات خدين محمرين فى لون التفاح ، فقد أبطأ وجهها قبل أن يصبح مصفرا كبقية الفتيات اللاتى ولدن فى المدينة ، وهذان الخدان المتوردان كن موضع الفتنة فيها لنا جميعا ، لا للاستاذ فحسب .

عندما رايتها للمرة الاولى مع ذلك الشقى «ماريو» سائق السيدة التى تقطن الطابق الثالث قلت لها :

ـ هذا الطراز من الرجال لم يخلق لك والاكاذيب التى يقصها عليك ، هى مما يقصه لجميع الفتيات !

اجابت :

ـ بالامس حملنى فى السيارة الى «مونت ماريو»

ـ طيب ، وماذا ؟

ـ انه لرائع أن يركب المرء سيارة ، وفضلا عن ذلك ، انظر ما اهداه الى ...

وارتنى اسورة من معدن أبيض لها شكل فيل ، مما يبيعه التجار فى « كامبو دى فيورى » فقلت لها :

ـ كونى على حذر ، انه يريد أن ينال منك ، ومن جانب آخر ، ليس من حقه أن يخرج معك فى السيارة لحسابه ، وسترين اذا علمت بذلك السنيورة ، مرة أخرى كونى على حذر .

ابتسمت «تودا» ، وظلت تخرج مع «ماريو» .

***

ومر اسبوعان ، وذات يوم أطل الاستاذ برأسه داخل «حجرتى» ، وفى صوت خفيض سألنى :

ـ اسمع يا جيوفانى ... هل هذه الفتاة شريفة ؟

اجبت :

ـ بلا شك يا أستاذ ، جاهلة لكنها شريفة .

فرد بلا اقتناع :

ـ جائز ، الواقع ان خمسة كتب ثمينة قد اختفت ، ولا اريد أن ...

قلت له : ليس من الممكن اتهام «تودا» ، وبدون شك ستعثر عليها ، لكنى اعترف بأن الأمر أهمنى، فعزمت على ان أفتح عينى جيدا ، وبعد ذلك بقليل، عصر ذات يوم رأيت «تودا» تدخل المصعد مع «ماريو»، الذى قال لى انه صاعد الى الطابق الثالث ليتلقى أوامر السنيورة ،وكان كاذبا ، لأن السنيورة كانت قد خرجت منذ أكثر من ساعة ، وهو يعرف ذلك . وتركتهما يصعدان، ثم أخذت المصعد بدورى بعدهم، وصعدت مباشرة الى شقة الاستاذ ، كان الباب مفتوحا فدخلت عبر الصالة ، وسمعت حديثهما فى المكتبة ، وادركت اننى لم اخطىء ، وانا مختف رأيت «ماريو» واقفا على مقعد ، ماداً يديه الى الكتب التى فى أعلى رفوف المكتبة ، وهى : القديسة ذات الوجنتين المتوردتين ، تسند له المقعد ، وتصيح به :

ذلك الذى فى أعلى
ذلك السمين ...
ذو الغلاف الجلدى ...

حينئذ اظهرت لهما شخصى ، وصحت فيهما :

ـ جميل ... جميل جدا لكما معا ، لقد

فاجاتكما ، ولقد قال هذا لي الاستاذ ، لكني لم اصدقه ...

هل رايتم قطا ينسحب وقد صب عليه كوز ماء من نافذة ؟ ... كذلك كان «ماريو» ، عندما سمع صوتي ، قفز من على المقعد وهرب ، تاركا اياي مع «تودا» ، وقد تحدثت اليها طويلا ، ولو زدت كلمة واحدة على ماقلت لانفجرت باكية ، فان لفتيات «شيوشياريا» هذه الميزة ، استمعت الى مطاطاة الراس دون أن تتكلم ، واخيرا رفعت عينيها ، وكن جافتين ، وقالت :

ــ من الذى يسرقه ؟ انا دائما اعطيه الباقى من ثمن الشراء ولا افعل ما تصنع بقية الطباخات ، عندما يطلبن ضعف مايساويه ثمن مايشترين من الاشياء .

ــ تعسة ، الا تسرقين كتبه ، الا يسمى هذا سرقة ؟

ــ عنده كتب كثيرة !

ــ كثيرة او قليلة لا يجب ان تمسيها ، كونى على حذر ، اذا عدت الى السرقة فسوف تذهبين الى القرية راسا !

لا شىء ! ... لم تعطنى الحق ، ولم توافق على انها سرقت ، لكن بعد ذلك بأيام رايتها تدخل حجرتى ، مع لفة طى جنبها :

ــ هذه هى كتب الأستاذ ، ساضعها الآن فى مكانها ، ولن يستطيع أن يشكو .

قلت لها :

ــ حسنا صنعت .

ودار بخلدى ، انها على الرغم من كل شىء فتاة طيبة ، وأن الذنب يقع على « ماريو » ، ورافقتها فى المصعد ، ودخلت معها الشقة ، كى اساعدها على وضع الكتب فى امكنتها ، وماكدنا نفتح اللفة حتى دخل الاستاذ ، فقلت له :

ــ أستاذ ، هاهى الكتب ، لقد وجدتها «تودا»، كانت قد أعارتها الى صديقة لها ، لتتفرج على ما بها من رسوم .

ــ طيب ... طيب ، كفاية !

وقبل أن يخلع المعطف او القبعة القى نظرة فاحصة على الكتب ، أخذ منها واحدا وفتحه ، ومالبث أن صاح :

ــ هذه ليست كتبى !

ــ كيف ... كيف ذلك ؟

ــ كتبى فى الآثار :

(ثم تابع قوله وهو يتصفح الأجزاء الأخرى جزءا) وهذه على العكس ، كتب فى القانون !

وسألت «تودا» :

ــ اية مصيبة فعلت ؟

فى هذه المرة احتجت تودا بقوة :

ــ خمسة كتب أخذتها ، وخمسة كتب جئت بها ، ماذا تريدون منى ؟ ودفعت ثمنها غاليا ، دفعت فيها اكثر مما قبضت فى تلك التى بعتها .

كان الاستاذ مبلما ، ودون ان يستطيع الحديث كان ينظر الى كلانا ، فاغرافاه ، بينما تابعت « تودا » الكلام :

ــ انظر ، لهن نفس التجليد او احسن ، انظر ... ولهن نفس الوزن او أزيد ، لقد وزنوهن لى ، ووزنها اربعة كيلوجرامات و ٦٠٠ جرام ، نفس وزن كتبك .

ــ لكن الكتب لا تباع بالوزن كاللحم المجالى ، كل كتاب يختلف عن الآخر ، ماذا اصنع بهذه الكتب ؟ الا تفهمين ؟ كل كتاب يضم شيئا محددا لمؤلف مختلف .

كان من الواضح ان « تودا » لم تفهم ، اذ ردت فى اصرار :

ــ كانت خمسة كتب ، وهى الآن خمسة ، كن مجلدات ، وهذه كذلك ، انا لا افهم شيئا !

وحسما للأمر أرسل بها الأستاذ الى المطبخ قائلا لها :

ــ اذهبى لتطبخى ، كفاية ... لا تعكننى دمى !

وعندما خرجت الفتاة قال لى :

ــ آسف ، انها فتاة طيبة ، لكنها مغرقة فى الجهل !

ــ كذلك اردتها يا أستاذ .

انها غلطتى !

وبقيت « تودا » فى منزل الاستاذ الوقت الضرورى لكى تجد لها عملا آخر ، ثم وجدته : غاسلة أطباق عند لبان فى الحى ، واحيانا تأتى لتزورنا ، لا تعرض لقصة الكتب ، لكنها قالت لى : انها بدات تتعلم القراءة والكتابة !

« د.الطاهر احمد مكى »

مع الفنان

تقديم

اميل جرجس

العمل الفني ما هو الا عملية بناء وتكوين يتم عن طريق الخلق والاحساس الذي يحسه الفنان .. ثم عن مدى تذوق الجمهور لهذا العمل .

ونرى هذا واضحا في اعمال استاذي الكبير الفنان صلاح عبد الكريم .. واذا تكلمت عنه .. فلا يسعنى الا ان اقدمه على انه المصور والمصمم والمزخرف والمثال والخزاف مجتمعا كل هذا في شخصيته المستقلة .. فهو يمارس تلك الفنون بطرائق تتجلى فيهـا البراعة والمقدرة واستيعاب الاساليب الحديثة والتوغل في أسرارها الحرفية .. واستخلاص عناصر التشكيل المناسبة منها .

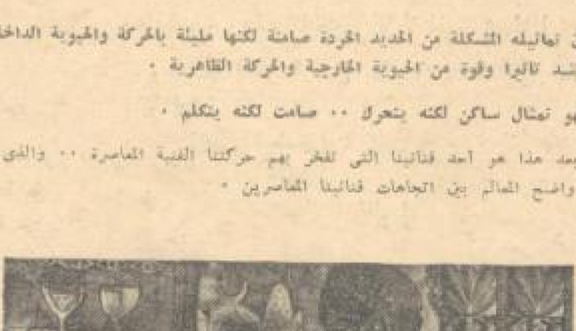
فاذا اردت أن تتحدث عن جانب من جوانب هذا الفنان تحار عن أي الجوانب تتحدث فكل جانب منها عبقرية وموهبة ناضجة واعماله تمثل الدليل على ذكاء نظريته التشكيلية وقوة التعبير .. فهو يتأمل الطبيعة ويراها .. ثم يترجم عنها في بناء جديد وتشكيل رائع .. تحس بمقدرته من تأملك لهذه الاعمال .

فاذا تأملت تمثال الصناعة أو أى عمل من أعمـاله فلا بد أن تتحدث عن براعته في استخدام أدوات الحياة الحديثة التي ينعكس فيها احساسه بمصدر الآلة في العصر الحديث **فهو ينقل البنا افكاره عن طريق قطع الحديد الخردة بجمعها وبلحمها بالاكسوجين فيخلق منها تحفة رائعة حيث ارى كل قطعة تحتل مكانها بدقة وعناية لتؤدي وظيفة تشكيلية معينة .**

ان تماثيله المشكلة من الحديد الخردة صامتة لكنها مليئة بالحركة والحيوية الداخلية التي تعتبر اشد تأثيرا وقوة من الحيوية الخارجية والحركة الظاهرية .

فهو تمثال ساكن لكنه يتحرك .. صامت لكنه يتكلم .

وبعد هذا هو أحد فنانينا الذي نفخر بهم حركتنا الفنية المعاصرة .. والذي يمثل اتجاها واضح المعالم بين اتجاهات فنانينا المعاصرين .

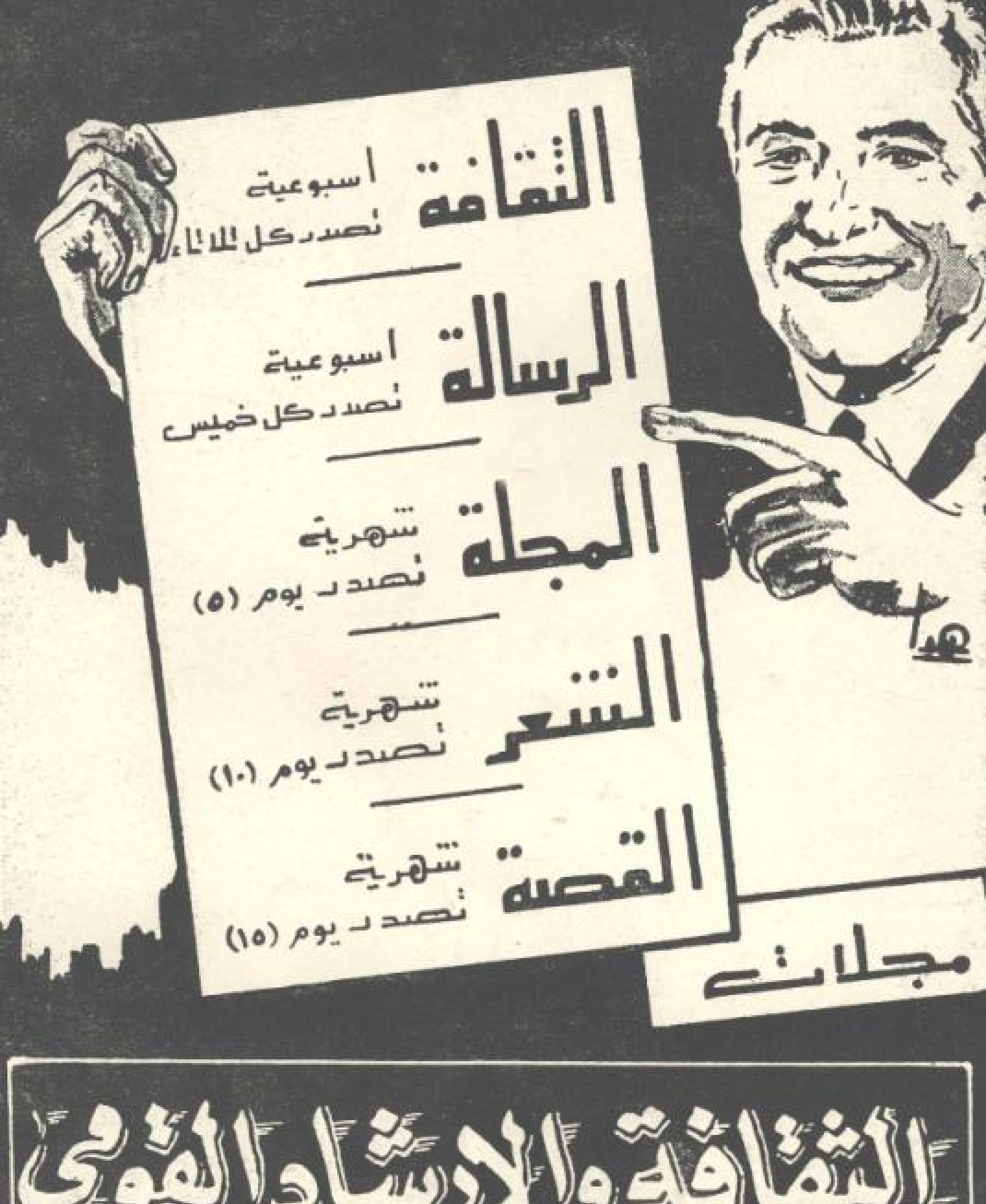


الاصلاح الزراعي . نحاس مطروق .



صلاح عبد الكريم

- ولد بمدينة الفيوم عام ١٩٢٥
- تخرج من كلية الفنون الجميلة بالقاهرة بدرجة شرف عام ١٩٤٨
- حصل على جائزة الدولة « اسماعيل » للفنون الزخرفية عام ١٩٥٢
- درس ديكور المسرح وفن التصوير بباريس من عام ١٩٥٢ الى عام ١٩٥٥
- درس ديكور السينما حيث حصل على دبلومها بدرجة امتياز من المعهد التجريبي للسينما بروما وفن الخزف من عام ١٩٥٥ الى ١٩٥٧
- حصل على جائزة سان فيتو رومانو الدولية للتصوير بروما عام ١٩٥٦
- حصل على ميدالية الشرف الدولية لفن النحت ببينالى سان باولو عامي ١٩٥٩ ، ١٩٦٣
- حصل على جائزة النحت الدولي في بينالى الاسكندرية عام ١٩٥٩
- حصل على جائزة التصوير الدولي لجوجنهايم عام ١٩٦٠
- مثل الجمهورية العربية المتحدة باعمال النحت والتصوير في بينالى فينيسيا عام ١٩٥٦ - ١٩٦٠
- عرضت اعماله بايطاليا والمجر والنمسا وتشيكوسلوفاكيا والمانيا وسويسرا ويوغوسلافيا
- اشترك في معرض خريجي كلية الفنون الجميلة عام ١٩٥٩ ، ١٩٦٠ ، ١٩٦١
- اختيرت اعماله الفنية لتمثل الجمهورية العربية المتحدة في معرض سبالي الدول للقرن العشرين بالولايات المتحدة عام ٩٦٣
- يشغل وظيفة استاذ مساعد بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة واستاذ غير متفرغ بالمعهد العالي للفنون المسرحية ومعهد السينما .
- يستعد الآن لعمل معرضه الثاني الذي سيستهل به الموسم الفني في يناير سنة ١٩٦٦ .



العدد ٨٩

الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر